روايات عبير

٤٧٩

عازف الكمان

liilas.com

روايات عبير

No: 47

سكت " فولوديا " فجأة وتفرس في وجه " لوريان " ربما يكون غير واثق بأنها ستكتم سره . لأنه غير مجرى الحديث .

– كنت ملكا للآخرين. أشبه بسلعة يشترونها ويبيعونها حسب رغبتهم.

قالت :

– أفهم أن من المفروض ألا تخلو حياتك من وقت فراغ ! غير أن هذا لا يدعو أن ينفصل الرجل عن فنه ! كما أنها أيضا حياتك ومهنتك .

أجاب :

– ممكن. لكن كان قد حدث لي منذ حوالي عام شيء دفعني إلى التساؤل عن نفسي: من أنا؟ أين أنا؟ من الشخص المختفي خلف الآلة؟ أيبقى شيء بعد أن تختفي الموسيقى؟

111las.com
وامر الليل

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$
U.K	1.5
France	15F.F
Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.

liilas.com

الغلاف الأمامي

لقد كرست "لوريان بريان" الفتاة التي تعشق الموسيقى حياتها للاهتمام بقرية "بريان" الموسيقية بالاشتراك مع عم زوجها: "السيد چيل".

كان هذا بعد وفاة زوجها الأول، نعم لم يكن زواجها به موفقا، لكنها كانت تشعر بالوحدة وتجد عزاءها في أنغام الموسيقى. وعندما دفعها عمها "چيل" إلى استدعاء عملاق الكمان الفنان القدير "ڤولوديا سيرچين" للاشتراك في حفلهم السنوي نجحت وإن كانت قد لاقت الكثير من المتاعب.

تبرز القصة أيضا الكثير عن حياة الفنان من حيث توقعه النجاح أو الفشل، وعما يجيش بنفسه من المشاعر السامية عن الحب الصادق.

جاء كل هذا - عزيزي القارئ - في إطار اجتماعي رائع.

شخصيات الرواية

"لوريان بريان": شابة تهوى الموسيقى وتعمل في قرية "بريان" الموسيقية.

السيد "ڤولوديا سيرچين" : فنان قدير ثري.

"چيل بريان" : عم زوج "لوريان" الأول مدير ومايسترو الفرقة في القرية الموسيقية.

"چيل لوموني" : طالب في القرية الموسيقية.

"چوزيفا" : عازفة الـ"ناي".

"چورچ ميللر" : وكيل السيد "سيرچين".

قمر الليل

الفصل الأول

جمعت "لوريان بريان" كل شجاعتها وبيدين قويتين قرعت الباب الرئيسي لمسكن "ڤولوديا سيرچين". دوت القرعات الثلاث في سكون الريف الذي لا يقطعه إلا تغريد الطيور وطنين الحشرات.

كما كان يرتفع صوت الجرار بأزيز وتير. وبينما كانت منتظرة أن يفتح لها تساءلت أكثر من مرة: عما قد تكون الأسباب التي دفعت عازف كمان يتمتع بالشهرة مثل "ڤولوديا سيرچين" إلى أن يدفن نفسه في قاع "كاليفورنيا"؟ إذ إنه في الواقع كان الفنان القدير وقد وصل إلى قمة النجاح وها هو قد أدار ظهره إلى الأمجاد والشهرة ليتحول إلى زراعة التفاح.

وبعد لحظات فتح الباب ليظهر رجل في الستين من عمره. نظر إلى الفتاة نظرة خاطفة.

سألها بنبرة بعيدة عن الترحاب:

- طلباتك؟ يا آنستي!

- أطلب مقابلة "ڤولوديا سيرچين" من فضلك.

- هل من الممكن أن أعرف الغرض من المقابلة؟

شعرت "لوريان" إزاء مقابلته الباردة أنه موشك - بين لحظة وأخرى - أن يغلق الباب في وجهها. لذلك أسرعت بالإجابة:

- أدعى "لوريان بريان" مشتركة في قرية "بريان" الموسيقية التي لا تبعد كثيرا عن هنا وهي تضم شبابا من هواة الموسيقى للتمرين الصيفي. كنت أود أن أحدثه عن الحفل الخيري الذي سنقيمه كالمعتاد كل عام في شهر أغسطس. ربما تكون لديه رغبة المساهمة فيه وهو ما يزيدنا شرفا.

تفرس الرجل في وجه الفتاة الذي يعبر عن الذكاء وفي عينيها السوداوين الواسعتين وأنفها الدقيق وشعرها المرفوع أعلى رأسها ثم أجابها:

- إن السيد "سيرچين" لا يتلقى مقابلات من غير سابق ميعاد.

ردت "لوريان" موضحة:

- كنت أود - بكل ترحاب - تحديد موعد مع سيادته غير أن اسمه ليس مدونا في مفكرة أرقام التليفونات، وعلى كل حال إني واثقة بأنه سيهتم بحفلنا. أرجوك هل في استطاعتي أن أراه؟

أجابها:

- الذي يكلمك: "چورچ ميللر" وكيل السيد "سيرچين" وبالتالي في إمكاني أن أتكلم بالنيابة عن السيد "ڤولوديا": إنه لم يعد يشترك في حفلات عامة يا سيدتي.

قالت الفتاة ملحة وقد رفضت الانصراف:

- من يدري ربما أستطيع إقناعه بالمساهمة في الحفل.

lnlas.com
ومـــرالـــيل

- حاليا السيد "سيرچين" في أراضيه.

- أمر بسيط في إمكاني انتظاره.

- وربما لا يعود قبل ساعة!

- لا يهم، إني مضطرة أن أكلمه.

لمعت عينا "چورچ" وتراجع خطوة ليسمح للفتاة بالدخول إلى المنزل. اصطحبها إلى الصالون حيث جلست على مقعد من طراز "لويس الخامس عشر" مكسو بالحرير الأزرق الموشى بالأسلاك الفضية. سألها:

- أتتناولين مرطبا؟

أجابت:

- لا. شكرا. فقط أخبرني يا سيد "چورچ"، أنت تعرف السيد "سيرچين" معرفة جيدة. أليس كذلك؟ هل هو رجل جذاب؟

- إن صلتنا ترجع إلى الفترة التي كان قد ترك فيها السيد "سيرچين" "فنلندا" ليستقر في "الولايات المتحدة".

- أتستطيع إحاطتي ببعض المعلومات عنه؟

- لا أستطيع وصف السيد "ڤولوديا". إذا سمح بمقابلتك فعليك بتكوين رأيك فيه. الآن أستأذنك لأني مضطر أن أتركك.

مرة أخرى ألقى الرجل نظرة خاطفة إلى الفتاة قبل أن يختفي.

أرادت "لوريان" أن تبدد قلقها بالتأمل في الصالون. كان الأثاث الموجود به له طابع الفخامة والأبهة في إطار ذوق رفيع. وكلما كان الوقت يمر ازداد ندم "لوريان" على قبولها القيام بتمثيل فرقتها في مقابلة "ڤولوديا". وكان عمها "چيل بريان" وكل مسؤولي القرية الموسيقية قد ألحوا عليها طويلا لقبول هذه المهمة، واضعين ثقتهم بأن سحرها كفيل بأن يجعل هذا الرجل القدير يتراجع عن قراره.

يا لها من فكرة غبية! هكذا فكرت الفتاة ثائرة..

نهضت لتتجول في المكان إلى أن وصلت إلى باب مزدوج مفتوح إلى النصف. ألقت نظرة سريعة ثم تمالكت أنفاسها: إنها قاعة الموسيقى! كانت الستائر مسدلة وكان ضوء شهر إبريل يملأ الحجرة. غير أن الفتاة صبت اهتمامها على الكمان وقوسه الموضوعين على منضدة تبعد عن المقعد والمكتب بخطوة واحدة.

بعد أن تلفتت وانضت بضع ثوان اندفعت الفتاة دون تفكير إلى قاعة الموسيقى.

ولما اقتربت من الكمان لمحت على الحائط صورة كبيرة تمثل الفنان وهو في رداء أسود ممسكا بالكمان بإحدى يديه وبالقوس باليد الأخرى.

"لوريان" كانت تعرف من الصحف أنه في مقتبل العمر، إذ يبلغ الثانية والثلاثين. وكانت على وجهه ابتسامة الرجل الناجح. وكانت خصلات شعره الكستنائي المتموجة تتوج وجهه ذا الملامح المعبرة.

ولما اكتشفت الفتاة أن صورته توحي بأنه واثق بنفسه انقبض قلبها لفكرة مقابلته قريبا. كانت "لوريان" تعرف أنها ستقابله هنا والمفروض أن تنصرف قبل أن يفاجئها أحد في هذا المكان. وقبل أن تنصرف حاولت ملاطفة كمان هذا الأستاذ الفنان وكأنها بهذه اللمسة تتوسل إلى القدر الذي أوجدها في نفس هذه المهنة. وما كادت أصابعها تلمس الآلة حتى سمعت صوتا جعلها تنتفض:

- أأستطيع إرشادك؟

التفتت "لوريان" وفتحت فمها لتعتذر غير أنها امتنعت لما رأت أمامها رجلا: إنه عامل زراعي بسيط في زيه الأزرق الذي كان مكونا من چينز أزرق وقميص قديم مكرمش وقبعة على رأسه.

وقف هذا الشخص ينظر إليها نظرات استفهام.

liilas.com
قمر الليل

قالت وقد رفعت رأسها عاليا:

- إني منتظرة السيد "ڤولوديا".

قطب الرجل حاجبيه وتفحص الفتاة من شعرها الأسود الرائع- الذي يكلل وجهها البيضاوي ذا الملامح الجميلة، فستانها الأخضر الخفيف - إلى قوامها الفارع وساقيها الطويلتين النحيلتين.

وأخيرا أعلن وهو ينظر في عينيها:

- أنا "ڤولوديا"!

قالت غير مصدقة:

- "ڤولوديا سيرچين" عازف الكمان المشهور؟

أجاب:

- "ڤولوديا" الزارع!

أوشكت "لوريان" أن تبدأ المناقشة عندما تذكرت أنها في مكان لم تدع إليه ففضلت أن تتراجع. عادت إلى الصالون، لكن لا يخفى أنها سيطرت على إحساس بالقشعريرة كان قد اعتراها وهي تمر إلى جانب هذا الرجل وقد كان ذا جاذبية قوية. تبعها "ڤولوديا" بعد أن أغلق الباب بعناية من خلفه.

وقف أمامها قائلا:

- لقد ألح علي "چورچ" لمقابلتك.

الآن وهي في مواجهته استطاعت "لوريان" رؤية لون عينيه. كان لهما لون رمادي غريب وكان لون رموشه بنيا متناقضا مع شعره الكستنائي.

استطرد:

- كنت تبغين التحدث مع "ڤولوديا"؟.

أجابت:

- نعم إني ... إني....

- استريحي. وبذا نأخذ راحتنا في الكلام.

أخذت "لوريان" مكانها في المقعد الذي كانت جالسة عليه وشدت جونلتها على ركبتيها. أعلنت:

- أدعى "لوريان بريان" مشتركة في قرية "بريان" الموسيقية...

قاطعها ساهما وهو ينزع قفاز العمل:

- "لوريان"... "لوريان" اسم جميل لفتاة!

ثم جلس بالقرب منها.

قالت:

- والقرية تقع...

قال:

- إني على علم بها. إنها على مقربة من هنا. أتعلمين يا "لوريان" أنك استطعت التأثير على "چورچ"؟

- حقا؟

قال مكررا وهو يضع ذراعه على مسند المقعد:

- حقا! ولقد أوصاني أن أُحسن استقبالك وألا أتبع أسلوبا جافا معك.

سألته وهي تعمل على الابتعاد عنه:

- سيادتك تبدو أحيانا جافا؟

- كثيرا!

تمتمت الفتاة وقد أزعجتها نظراته التي تكاد تلتهمها:

- إذن وجب علي أن أشكر "چورچ".

ابتسم الشاب:

- لا تتسرعي. أنا لم أقل إني سأطيعه!

يا لها من غبية! لماذا قامت بهذه الخطوة؟ ها هي "لوريان" قد شعرت

liilas.com
قمر الليل

أنها سقطت في الفخ . استعادت الفتاة شجاعتها وقالت:

- إن القرية الموسيقية تقبل الشباب ذوي المواهب الموسيقية...

قاطعها ثانية:

- أراك رزينة جدا مع كونك فتاة جميلة.

ثم نزع قبعته ليدع خصلة شعر تقع على جبينه، ألقت الفتاة نظرة خاطفة على شعره وعلى قميصه الذي كان عالقا به بعض زهور شجر التفاح ثم جمعت شجاعتها لتكمل حديثها:

- لقد أتيت لكي...

قال بهدوء وبنبرات منغمة:

- إن "ڤولوديا" ينجذب دائما للفتيات اللاتي تتمتعن بالجدية . أما أنت فتتمتعين بشيء غامض وجذاب جدا في الوقت نفسه.

كانت "لوريان" تعلم أنه يمزح. كما كانت لكلماته ولهجته الفنلندية تأثير عليها. بالإضافة إلى أنه يتكلم عن نفسه بضمير الغائب.

عادت "لوريان" إلى حديثها:

- كما سبق وقلت لك: إن طلابنا موهوبون جدا...

- يكون أفضل لو أنك كلمتني عن "لوريان". ترى أي سر تخفين خلف عينيك السوداوين الواسعتين .

أجابت "لوريان" وكادت تصرخ:

- لا شيء!

- أنت عصبية جدا. ربما يفيدك هذا المشروب ..

- لا! لن يفيد شيء يا سيد "سيرچين"!

بدأ الشاب ينهض ويدخل الصالون بخطى رشيقة كان ممسكا بدورق من الكريستال المنحوت وكوبين . مد لها يده قائلا:

- تذوقي هذا يا "لوريان" الجميلة.

تناولت الفتاة كوبها ملقية نظرة شك على المشروب ثم بقوة تفوق العقل. استطاعت أن تبتلع جرعة دون أن تبدي أي ملاحظة.

قال "ڤولوديا":

- لقد أعددت هذا المشروب من التوت الذي جمعته من أرضي. أتعشم أن يكون قد حاز القبول!

ابتسمت "لوريان" وهي تفكر في نجاح مهمتها ثم رفعت الكوب من جديد لتتناول جرعة أخرى ابتلعتها هذه المرة بسهولة:

- لقد كلفني عمي بالحضور عندك لـ...

قاطعها "ڤولوديا" وهو يضع كوبه على منضدة منخفضة :

- "لوريان"... "لوريان" الجميلة. كم أنت جميلة ولذيذة! وأنا كم أبدو قذرا ولا يليق لي البقاء بالقرب منك في مثل هذا المظهر!

وضع الشاب يده على ذيل فستانها الذي كان على وسادة المقعد وأخذ يلاطفه بهدوء. ولما أحست الفتاة أنه يعمل على مضايقتها . قالت بشجاعة:

- هذا الأمر ليس ذا أهمية يا سيد "سيرچين" دعني من فضلك أشرح لك هدف زيارتي.

- "ڤولوديا"! ناديني "ڤولوديا" أيتها الجميلة "لوريان".

ثبتت الفتاة نظرها عليه لحظة لكنها لم تجبه بكلمة... كانت تشعر بحرارة جسمها تزداد من حين لآخر ولا تعلم مصدرها. أهي من تصرفات هذا الرجل غير المحتمل أم من المشروب الذي تناولته؟ أعادت كوبها على المنضدة وضمت فستانها حول ركبتيها. ثم لاحظت "ڤولوديا" وهو ينحني ليصب لها كوبا آخر. ولما استقر في مقعده كانت "لوريان" لا تعلم ما كانت قد أتت من أجله وما كانت تريد قوله له!

استطرد "ڤولوديا":

liilas.com
قمر الليل

– لقد عملت في البستان طوال اليوم وأشعر أن ملابسي في حالة قذرة للغاية. كنت قد قرأت في أحد الكتب أن رائحة عرق الرجال جذابة. أتؤيدين هذه الفكرة؟

صرخت الفتاة وقد صدمت:

– يا سيد "سيرچين"!

صحح لها:

– يا "ڤولوديا" من فضلك!

نهضت الفتاة في عصبية لتواجه الشاب بقولها:

– سوف لا أسمح لك يا سيد "سيرچين". لقد كان "چورچ" قلقا من جهة فظاظتك وهأنت الآن تصل إلى البذاءة! أنا أفضل الانصراف.

اتجهت "لوريان" بخطى واسعة نحو الباب غير أنه أوقفها في الحال. قائلا:

– كنت أعتقد أنك أتيت لطلب شيء من "ڤولوديا".

أجابته معترضة:

– أنت لم تبد أدنى اهتمام للإصغاء إلي.

قالت هذا وكانت مثبتة نظرها على أصابعه الطويلة البرنزية من فعل الحرارة التي وضعها على ذراعها.

– اتركني ! مستحيل لن أمكث.

قال:

– هأنا الآن مستعد لسماعك. غير أنه كان ينبغي عليك أن تدركي أنه لا يليق مناقشة أمور مهمة مع شخص جائع ومتعب.

أفحمته الفتاة:

– إن كان أحدنا متعبا فهو أنا المتعبة من ألاعيبك السخيفة.

ثم لحقت بالباب.

– أعدك أني لن ألعب. أرجوك امكثي لتناول العشاء معي. سأصعد لآخذ دشا وأقوم بتبديل ملابسي وأحلف لك أني سأتصرف بلياقة مثل "رجل متحضر" إذا قبلت دعوتي.

– لا! شكرا.

– أتعرفين معنى الوحدة يا "لوريان". صعب جدا أن أتناول طعامي مع نفسي. ليتك ترافقينني وأعدك بالإنصات إليك.

كان عقلها يغلي من التفكير وأخذت تنظر إليه لتضع في الموازين ما هو مع الموقف وما هو ضده. كان يبدو صادقا ولقد تأثرت بكلامه عن الوحدة. لكن ترى هل هي حقيقية؟ من جانب آخر كان عليها ألا تتغافل عن الكسب الذي قد تحصل عليه القرية باشتراك "ڤولوديا سيرچين" في حفلها السنوي.

قالت بنبرة واثقة:

– موافقة! فقط ضع في اعتبارك أني: السيدة "لوريان بريان". و"چيل بريان" هو عم زوجي.

في الواقع لم يكن لـ"لوريان" زوج منذ أربع سنوات غير أنها اعتقدت أن كل هذه حصون تحميها من تطفل هذا الـ"ڤولوديا".

تمتم:

– مدام "بريان"!

– سأتناول العشاء معك إذا شئت.

– "ڤولوديا" يتمنى ذلك تماما!

– وستصغي إلي؟!

– وسأصغي إليك.

قالت:

– في هذه الحالة سأبقى للعشاء.

liilas.com
قمـــر الليل

ركزت على الكلمة الأخيرة حتى لا يعقد أملا على فترة أطول.

- سوف أخطر الطباخ بذلك وأبدل ملابسي.

كان عليها أن تأخذ الحذر حتى لا تنساق في قصة غبية مع "ڤولوديا". إذ كان يكفيها موسيقار واحد عصبي في حياتها ولقد كان زوجها قد مر من هذا المنطلق.

تمتمت بصوت عال:

"أنكل چيل" أعتقد أنك تعلم أنني أعمل من أجلك! ثم حولت عينيها من جديد نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى قاعة الموسيقى متسائلة مرة أخرى: لماذا أتى هذا الموسيقار المرموق إلى هذا المكان ليدفن نفسه وسط الحدائق؟!!

الفصل الثاني

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء عندما جدد "ڤولوديا" مظهره.. و"لوريان" كانت قد استعادت استقرارها. استقبلته بابتسامة فاترة عندما ظهر على عتبة الصالون، في هندام لا يعيبه شيء: بنطلون أسود وقميص حرير سمني اللون. عبر "ڤولوديا" الحجرة بخطوات رشيقة وكان ضوء المصباح يعكس أشعة ذهبية في خصلات شعره المنسق بعناية.

سألها بهدوء:

- الآن تجدين "ڤولوديا سيرچين" اللائق بالمقابلة؟

ثم أخذ يدها وقبلها قبلة رقيقة اهتز لها كيانها وقد أعجبت برائحة عطره. قالت:

- لائق بالمقابلة؟! أنت رائع!!

- أتودين تناول مشروب آخر؟

liilas.com
قمر الليل

- أشرب ! يا إلهي! ليتني ما قبلت القدح الأول.

أجابها:

- في هذه الحالة هيا بنا للعشاء.

ثم أمسك بيدها ليساعدها على النهوض.

أجابت "لوريان":

- أعتقد أنه يكون أفضل. أتعلم أن مشروبك كان كريها؟

قال:

- نعم أعلم ذلك وأتعشم أن أوفق في مشروبي مع التفاح.

اصطحبها "ڤولوديا" إلى حجرة الطعام بابتسامة عريضة ثم أردف:

- كنت أريد معرفة مدى استعدادك لقبول الامتيازات للوصول إلى غايتك.

صاحت "لوريان":

- لم يكن أمر امتيازات إنما كنت مؤدبة وسيادتك كنت لا تحتمل يا سيد "سيرچين"!

جلسا أمام المائدة المغطاة بمفرش أبيض والتي كانت تلمع عليها الأواني الكريستالية والفضية كما كانت باقة ورود رائعة تتوسط المائدة.

وضع "ڤولوديا" قبلة خفيفة على رقبتها ثم قال:

- أنت على حق يا "لوريان" الجميلة. إن "ڤولوديا" شخص لا يحتمل!

تمتمت:

- أرجوك يا سيد "سيرچين".

- بم ترجونني: أن أتوقف أم أن أستمر؟

- كف الآن وفي الحال يا سيد "سيرچين".

- "ڤولوديا" من فضلك!

- كف يا "ڤولوديا".

خضعت للنطق باسمه وإن كانت لا تستسيغ ذلك.

ابتسم الشاب قائلا:

- إن قبلتي كانت بريئة. غاية ما في الأمر كنت أريد معرفة: هل شعرك الجميل الذي يتوج وجهك الجذاب هو شعرك الطبيعي؟!!

- والآن قد سررت؟

- شعرك رائع!

كادت "لوريان" توقفه عند حده عندما ظهرت سيدة متوسطة العمر تحمل طبق السمك ومعه التفاح.

ولما انصرفت الخادمة استطرد:

- قد يكون شعرك ساحرا لو أنه ترك حرا.

- أأطلب منك العفو وأستأذنك؟!

قال:

- أتكلم عن شعرك. عندما ينساب قد يحيطك برداء أسود حريري.

وكان في أثناء حديثه يطيل النظر إليها.

قالت وقد استبد بها الضيق:

- يا سيد "سيرچين"!

- "ڤولوديا".

وأخيرا فكرت في أن تغير مجرى الحديث فسألته:

- هل "چورچ" سيتناول العشاء معنا؟

- لا إنه يفضل تناوله في حجرته.

- حسنا، دعني الآن أكلمك عن القرية الموسيقية.

قال:

- لا! ليس الآن! لا مجال لمناقشات العمل في أثناء الأكل لأن هذا معناه

liilas.com
قمر الليل

جلب قرحة المعدة. إن "ڤولوديا" يفضل سماعك تتحدثين عن نفسك.

قالت:

- إن الحديث عن "لوريان" غير شيق بالمرة!

- وأنا أعتقد أنه بالعكس. دعيني أخمن على أي آلة تعزفين. بلاشك على آلة ذات أوتار. حكمت على ذلك من ندبات يدك اليسرى. إنه الكمان. أليس كذلك؟

ألقت الفتاة نظرة سريعة على أطراف أصابعها ودهشت عندما اكتشفت أنه لمح إلى هذه الدرجة.

قالت وقد علت شفتيها ابتسامة رقيقة:

- أنا لا أجرؤ على العزف على الكمان مادام يوجد في العالم "ڤولوديا سيرچين". أني أعزف على النوي (الكمنجة الكبيرة).

- وتجيدين العزف عليها؟

- بمرونة إذ بدأت العزف في السادسة من عمري. لقد وجدوني موهوبة لكن ليس إلى حد النبوغ. إنما أنا أجد فعلا متعة في العزف وهو المهم.في فصل الشتاء أشترك مع الأوركسترا السيمفونية وفي الصيف أقوم بتدريس الموسيقى في قرية "بريان" الموسيقية.

تمتم"ڤولوديا":

- أنت محظوظة في أن العبقرية لم تعرف سبيلها إليك.

هذه الكلمات أدهشت الشابة . ثم أكمل:

- لأن العبودية عادة ما تتبع النبوغ والعبقرية! أنت تعزفين على الكمنجة الكبيرة مع أنك ضعيفة البنية بالنسبة لهذه الآلة.

قالت:

- أتعلم أني أقوى مما أبدو عليه؟!

قال ضاحكا:

- أفهم من هذه الكلمات أنها تهديد أو على الأقل تحذير؟ أترغبين في تناول فاكهة أم حلوى؟ لا؟ إذن لننتقل إلى القهوة مباشرة.

رن "ڤولوديا" جرسا فضيا صغيرا. فظهرت الخادمة في الحال حاملة القهوة على الصينية. أخذها منها "ڤولوديا" واتجه إلى الصالون.

عادت الفتاة إلى مقعدها وأخذت تنظر إليه وهو يصب القهوة بمرونة دفعتها إلى الإعجاب به ، وبعد أن صب القهوة أتى ليجلس بالقرب منها قائلا:

- إذن أنت تعزفين على هذه الآلة. إني أشعر أن أنغام هذه الآلة بها شيء من الشاعرية .

سالته وكان ضوء المصباح يظهر حمرة تعلو وجهها:

- حقا؟

- حتما! إن أنغام الكمان تشبه شكوى الحب التي ترد عليها الكمنجة الكبيرة.

كانت عينا "لوريان" ترمشان بغير إرادة لأن الشاب كان وهو يجلس بالقرب منها لا يبعد نظره عنها . قالت:

- لكن سيادتك لم تكلمني عن نفسك! عن فنك!

- أريد أولا معرفة المزيد عن "لوريان" الجميلة. كلميني عن زوجك.

شبكت الفتاة ساقيها بعصبية ثم غطت ركبتيها بجونلتها بعناية إذ كانت قد لاحظت أن العينين الرماديتين تراقبان كل واحدة من حركاتها.

قالت:

- لقد تزوجت في سن صغيرة جدا. كنت وقتئذ في الثامنة عشرة من عمري وكنت مازال أتابع دراستي في الـ"كونسرڤاتوار". وبعد قليل خاب أملي في أني لم أصبح عازفة مرموقة. ربما يكون ذلك سببا في أن زواجي....

liilas.com
قمر الليل

توقفت "لوريان" فجأة عن الكلام لأنها وجدت نفسها قد استرسلت في الحديث أكثر من اللازم. فما كان من "ڤولوديا" إلا أن أكمل لها جملتها:

– لم يستمر. عندما تكلمت عن زواجك يا "لوريان" فهمت أنه لم يكن موفقا.

لم تتضايق "لوريان" منه لإلحاحه هذا وإن كانت تشعر بالقلق.

استطرد "ڤولوديا":

– أرى أنك سيدة وحيدة. لذا وجب عليك أن تعودي مرة أخرى إلى الإلمام بالفن وضعي ثقتك برجل وهبيه حبك.

هذه الكلمات جعلتها تعجز عن التنفس ولقد ازدادت دقات قلبها.. بدأت تشعر بجاذبية هذا الرجل ولقد عاودها الحنين إلى التقرب من رجل يلاطفها ويغرقها بالقبلات.

ثم تعود "لوريان" لتقنع نفسها بأن الأفضل لها أن تهرب غير أنها عجزت عن القيام بأبسط حركة. ثم أفاقت وتذكرت المهمة التي أتت من أجلها. نهضت ووقفت وسط الصالون وقد أدارت ظهرها لـ"ڤولوديا".

قال مستفسرا:

– قولي لي يا "لوريان" ماذا بك؟

قالت:

– إن زوجي كان عازف "بيان". كان...

لم تقدر "لوريان" على إتمام جملتها وظلت واقفة وسط الحجرة.

أكمل "ڤولوديا":

– أنانيا! أحد أولئك الموسيقيين المهتمين بفنهم إلى درجة لا تترك لهم وقتا ولو قليلا يهبونه لزوجاتهم. أليس كذلك؟

التفتت "لوريان" دهشة لما رأت قدرته على قراءة أفكارها. غير أن نظراتهما لم تتقابل إذ كان يثبت نظره على الباب المؤدي إلى قاعة

الموسيقى.

أجابت:

– نعم. كان هكذا. الآن لقد علمت يا سيد "سيرجين" لماذا أنا لست مؤهلة لمركز مشابه.

– أفهم ذلك. والآن ها قد اتبعنا الجدية: عودي للجلوس بالقرب مني وسأحكي لك مغامرات "ڤولوديا": أولا وقبل كل شيء أنا "فنلندي" وإن كنت من أصل "روسي".

قالت:

– لو لم أسمع منك هذا الكلام لشككت في صحة ذلك. ولكن ما أهمية هذه المعلومة؟

أجابها:

– إن "الفنلنديين" يتميزون بصلابة الرأي ويعملون على الوصول إلى الهدف الذي يضعونه نصب أعينهم دون أن يمنعهم أي عائق. وأنت قد أعجبتني كثيرا يا "لوريان" الجميلة.

قالت:

– أعتقد أن الوقت قد حان لأنصرف.

– هل أنت أستاذة ممتازة يا "لوريان"؟

– أعتقد. لكن بم يفيد الكلام في ذلك؟

كانت "لوريان" لا تعلم إلى أين يريد الوصول بانتقاله من مناقشة موضوع إلى آخر. كانت تشعر وكأنها فأر بين مخالب قط.

استطردت:

– لقد بدأت دراسة الموسيقى عندما كنت أبلغ الرابعة من عمري. كنت قد حضرت مع والديّ حفلة واستمعت إلى عازف كمان مشهور وعلى الرغم من حداثة سني شعرت بصلة قوية تربطني بالكمان. على مر

liilas.com
ومـــراليل

السنين كان لي أساتذة بعضهم أفضل من الآخرين. أذكر من بينهم أستاذة كانت تقف خلفي وتضربني على رأسي بالعصا في كل مرة أخطئ فيها في السلم الموسيقي. كانت عصاها تعوض الرقاص الموسيقي! واحد اثنان ثلاثة أربعة وواحد اثنان... إلخ..

ثم لم تقدر على الامتناع عن الضحك. ثم قالت:

- أراك تجدها طريقة عجيبة. أليس كذلك؟ على كل حال كانت هذه *السيدة تعلمني التركيز! إذ كنت كفيلة بعزف أي مقطوعة دون أي* غلطة... أما أنا فكنت أبحث عن أحسن وسيلة تمكنني من قتلها!

أكملت:

- أنا لست من هذا النوع من الأساتذة . كما أنه لا يوجد منه لدينا في القرية الموسيقية. أتريد أن أحدثك عنهم؟

- إذا شئت؟!

- إن "چيل بريان" عم زوجي...

قاطعها:

- بالمناسبة لم تخبريني: عم كان مصير زوجك؟!

قالت معترضة:

- "ڤولوديا"!!

- أجيبيني ولن أقطع حديثك بعد ذلك.

أجابته بأسى:

- إن زوجي توفي في حادثة طائرة منذ أربع سنوات.

- أسف كان لا يجب علي المزاح في أمر محزن كهذا.

- محزن نعم، غير أن زواجنا كان هكذا أيضا. إن موته لم يكن مؤلما بالنسبة لي وذلك لأنني لم أحب "أندرو". أما إذا عدنا بالحديث إلى "چيل بريان" فهو يدير القرية الموسيقية بشهرة مرموقة. نحن نستقبل في هذه

القرية شبابا في الثامنة عشرة من أعمارهم موهوبين في الموسيقى. وهم يتابعون تدريبات مكثفة سواء في دروس مجموعات أو فردية يقوم بها أساتذة أكفاء ويقضون بقية الوقت في ممارسة الرياضة. قد تشك سيادتك في أن هذه الإجازات الموسيقية ليس لها أجر. لذلك بفضل بعض المبالغ نعمل على السماح للشباب من هواة الموسيقى غير القادرين أن يدخروا جزءا من المال.

نظرت "لوريان" لحظة إلى "ڤولوديا" ثم استطردت في شجاعة:

- نحن نحصل على هذه المبالغ من الحفل الخيري الذي نقدمه كل عام في نهاية فصل الصيف. من أجل ذلك نحن نسعى إلى تدعيم مركزنا بانضمام موسيقار مشهور حتى تتسع دائرة قريتنا. هل توافق سيادتك على تشريفنا بالانضمام إلينا في حفل شهر أغسطس القادم؟

أجاب:

- أنا آسف . "ڤولوديا سيرچين" لم يعد يعزف في حفلات عامة!!

- لكن "ڤولوديا"...

- لا!

ها هي "لوريان" قد صدمت . حقا إنها لم تكن متوقعة موافقة سريعة لكنها كانت تتمنى الحصول على شعاع أمل ولو بسيط!

قالت :

- لقد تركتني أتمنى..

- لم أدعك تتمنين شيئا بالمرة.

- لكني تناولت العشاء معك!

قال معلقا بابتسامة ماكرة:

- وقد سعدت بصحبتك وأرجو أن تكوني قد بادلتني نفس الشعور!

قالت:

liilas.com
قمر الليل

- حسنا جدا. الوداع يا "ڤولوديا".

قالت هذا وهي تتجه نحو الباب. عبرت "لوريان" القاعة بخطى واسعة وكانت عيناها تشعان غضبا. كانت تعلم منذ وصولها أنه كان عليها أن تلعب بالورق ولم يكن لديها أي أمل في الكسب. في الحقيقة لقد خسرت لكن لم يكن هذا هو سبب ثورتها. إن ما كانت لا تحتمله هو: أن "ڤولوديا" كان يعلم منذ البداية أنه سيرفض وها هو قد سخر منها!

أتى "چورچ ميللر" للقائها في القاعة. سألها:

- أأستطيع اصطحابك إلى سيارتك؟

أجابت:

- لا داعي!

قال وهو يسير إلى جانبها:

- لكني أصر على ذلك. أرى أنك وفقت هذا المساء.

- وفقت! نجحت! أنت تسخر مني؟ إن السيد "سيرچين" اصطحبني في سفينة ودفعني إلى تناول مشروبه الرذيل!

- ألا تخبريننى أنك لمست فظاظته!

- بلى! لقد كنت آخر الأغبياء. وأخيرا عندما سمح بالإصغاء إلي قال ببساطة ومن غير تعليل. قال لي: لا. السيد "ڤولوديا" ليس سوى...

سكتت لأنها لم تجد التعبير المناسب له.

قال "چورچ" مقترحا:

- خادم بالجيش؟ صبي بناء؟ فظ؟ أو أنه رجل وحيد وقد عانى الهجر.

صاحت الفتاة:

- عانى الهجر. دعني أضحك.

قال "چورچ":

- وكأنك لم تسمعي شيئا. احضري في الصباح حوالي الساعة الثامنة. إنه الوقت الذي يقضيه "ڤولوديا" في العزف على الكمان.

- وما الفائدة في عودتي؟

- اسمعيني: عندما علم بهدف زيارتك له سمح لك "ڤولوديا" بالبقاء معه أكثر من ثلاث ساعات وهذا مؤشر جيد.

كانت الفتاة تقشعر لتذكر القبلات التي كان يهبها لها. كما أن رائحة زهور التفاح في نسيم الليل تذكرها بالرجل المتعب الذي قضت السهرة معه.

قالت الفتاة:

- لا أعتقد أني سأجد الشجاعة الكافية لمقابلة "ڤولوديا" مرة أخرى. إنه شخص أناني لا يفكر إلا في نفسه ولا يهتم بمشاعر غيره.

أجابها "چورچ":

- إني واثق بأن مهنتك قد ساعدتك على التعرف على أمزجة الفنانين.

- ربما! لكن هناك حدود. لكن قل لي يا "چورچ" أنت لا تهتم البتة بزراعة التفاح. أليس كذلك؟

- بالنسبة للسيد "سيرچين" إنه مجرد شغل وقت فراغ أو بالأصح مضيعة للوقت. طاب مساؤك يا سيدتي!

قالت "لوريان":

- أسعد الله مساءك.

جلست الفتاة أمام عجلة قيادة سيارتها شغلت المحرك وما هي إلا ثوان إلا وكانت قد ابتعدت وسط الحدائق المزدهرة. لا. لن تعود! إن في إمكان "ڤولوديا" حرمان العالم من فنه النادر وإضاعة وقته بين حدائقه. إنها ليست مشكلتها.

عادت "لوريان" حالا إلى قريتها الموسيقية التي كانت فيها الشاليهات

liilas.com
قمر الليل

تتجمع على شاطئ النهر في ظل أشجار الأرز المعمرة الشاهقة.

إن الطلاب عادة لا يصلون إلا في شهر مايو لذلك كان المبنى الوحيد المضاء هو المبنى الذي يضم الفصول والمباني الخاصة بالأساتذة. وصلت "لوريان" وكانت تصعد سلم الشاليه الخشبي المؤدي إلى الطابق الثاني وهي منهكة ولا ترغب في مقابلة أحد. غير أنه وهي على أول درجة خرج "چيل بريان" من مكتبه.

قال لها الرجل المسن ذو الشعر الأبيض مسرورا:

- أخيرا هأنت يا عزيزتي. كيف تمت الأمور؟

توقفت "لوريان" في منتصف الطريق واستندت إلى الدرابزين. ثم أجابت:

- قال: لا!

لحق بها "چيل" على السلم ليقول:

- قضيت كل هذا الوقت معه ومع ذلك رفض؟

قالت الفتاة وهي تكمل ارتقاءها السلم:

- ماذا كنت تتوقع. إن "ڤولوديا" شخص يحب أن يضيع وقته.

دخلت "لوريان" حجرتها وعمها معها. كانت حجرتها مزدانة باللوحات وبأشياء فنية أخرى.

أكمل "چيل" كلامه:

- احكي لي ما حدث.

ارتمت الفتاة على سريرها من شدة التعب وأجابته:

- لقد أحسست أني تقابلت مع عاصفة حقيقية. إنه يخيفني.

- إنك تخافين من كل الرجال بعد تجربتك مع "أندرو".

- أرجوك يا عمي أعفني من مواعظك. إني مقدرة اهتمامك الزائد بهذا الأمر لكنك غير مسؤول عن فشل زيجتي حتى وإن كان "أندرو" ابن

أخيك.

قضى "چيل" لحظة صامتا مفكرا قبل أن يقول:

- إذن "چورچ ميللر" يرى أنه من المفيد أن تعودي إلى هناك مرة أخرى؟

أجابته:

- لن أذهب. لأني أشعر أني مفتقرة إلى القوة اللازمة لمتابعة هذه اللعبة السخيفة.

- حتى وإن كان يتوقف عليها نجاح حفلتنا؟ على أي حال لابد أن يكون "ڤولوديا" قد انجذب لسحرك وهو أيضا لا يخلو من الجاذبية وفق ما أعلم. إذن ما المانع من القيام بمحاولة أخرى؟

إن المشكلة تكمن هنا. و"لوريان" تعلم هذا جيدا. تعلم أنها انجذبت لـ"ڤولوديا" ولا تبغي التورط في الانسياق وراء علاقة عاطفية هدامة مع موسيقار. لقد أعطاها زواجها الأول درسا.

قالت بجفاف:

- إن سحر "ڤولوديا" ومواهبه لا يدخلان في الموضوع. أنا لا أنوي القيام بأدوار نجوم السينما.

صمت العم "چيل" وابتسامة صغيرة على شفتيه. تمتمت "لوريان":

- إني أتساءل: هل سبق له زواج؟

أجابها:

- يخيل لي أني قرأت شيئا بخصوص هذا الأمر في الصحف منذ عام أو عامين. قصة طلاق تمت قبل اعتزاله الفن.

قالت:

- مع كل هذا لن أعود إلى هناك. في إمكاننا التغاضي عن مشاركته في الحفل. هناك أكثر من موسيقار غيره. إن المال ليس كل شيء!

liilas.com
قمر الليل

- لا يا "لوريان"! بل إنه أمر مهم جدا. أتعلمين مثلا أننا هذا العام ينقصنا عازف "الناي". توجد فتاة موهوبة جدا تتمنى الانضمام لنا غير أننا استنفدنا كل المبالغ.

أجابت معترضة:

- عمي "چيل"! ما الذي تفكر فيه لتدفعني إلى القيام به؟!

liilas.com
قمر الليل

الفصل الثالث

في صباح اليوم التالي وبالتحديد في الساعة الثامنة وسبع دقائق كانت "لوريان" توقف سيارتها في فناء مزرعة "ڤولوديا". كانت متحاملة على "چيل" و"چورچ" لأنهما يحملانها مسؤولية عدم رغبتها في الاستمرار بالعمل على إقناع "ڤولوديا" بقبول الاشتراك في الحفل. ولولا هذه الضغوط لما أتت إلى هنا!

وفوق كل هذا كانت متحاملة على عازف الكمان لأنه لو كان وضح لها أسباب رفضه لما اضطرت لمتابعة هذه اللعبة السخيفة. لقد ترك صمته شعاع أمل ترى أن من واجبها ألا تعمل على إطفائه.

مع ذلك كان على "لوريان" أن تعترف لنفسها أنها كانت تريد بفارغ الصبر أن تلتقي مرة أخرى بـ"ڤولوديا" وهذا هو أساس اضطرابها.

ارتدت "لوريان" ملابس قاتمة الألوان بقدر المستطاع وقللت من كمية المساحيق التي استخدمتها لزينتها وضمت شعرها في ضفيرة تنزل

إلى وسطها.

كان قلبها منقبضا لهذه المقابلة وعندما أوقفت محرك السيارة ونزلت منها كان "چورچ" قد أتى لاستقبالها.

قال ولم يكن ليشك قط في مجيئها:

- صباح الخير يا سيدتي. يوم جيد. أليس كذلك؟

كانت "لوريان" تستعد للرد عليه غير أن أنغام الكمان العذبة منعتها من ذلك. كانت "لوريان" قد وهبت حياتها للموسيقى واستمعت إلى أكثر من فنان لكنها لم تتقابل مع ألحان بمثل هذا النقاء. وكان رخامة اللحن تكاد تحتويها لتحملها بعيدا نحو عالم السحر والغناء. كفت عن الاستماع إلى تغريد الطيور بين أغصان أشجار التفاح. لا شيء الآن يملأ أذنيها غير أنات الكمان. لم تنتبه الفتاة إلى اقتراب "چورچ" إلا عندما تمتم:

- في استطاعتك الدخول عند السيد "سيرچين" في قاعة الموسيقى. هذا إذا شئت.

- لا أريد إزعاجه.

- بالعكس إنه لا يجيد العزف إلا عندما يشعر أن أحدا يستمع إليه. وهو يعلم أنه يكاد يفقد وحيه إن لم يشاركه أحد إياه.

وإن كانت شغوفا لرؤية هذا الفنان المشهور في أثناء عمله غير أنها كانت لا تجرؤ على تخطي عتبة الباب. قالت:

- ربما يعتقد أني أتيت لكي أزعجه بموضوع الحفل.

ابتسم "چورچ" وقال:

- لا تخشي شيئا. إذا كان السيد "سيرچين" لا يرغب في مقابلتك فسيعلمك بذلك. لكني أتوقع أنه سوف يسر لرؤيتك.

تمهلت الفتاة بضع ثوان ثم صعدت درجات السلم ودخلت بهدوء على

قدر استطاعتها إلى المنزل. وفي الداخل كانت نغمات الكمان توقظ فيها كل المشاعر الوجدانية.

اقتربت "لوريان" من نافذة الباب - التي تطل على قاعة الموسيقى لترى الموسيقار من وراء الزجاج وهو يلتقط أنفاسه.

كان "ڤولوديا" جالسا على مقعد وإن كان في مواجهة الباب إلا أنه لم يرها. كان يرتدي "چينز" وقميصا مخططا على شكل مربعات أسود وأبيض. أما قفاز العمل و"القبعة" فقد ألقى بهما على المنضدة. وكانت حركاته في أثناء العزف ذوات رشاقة أرستقراطية. وعلى الرغم من هندامه هذا لا يبدو زارعا بسيطا من "كاليفورنيا".

إن وجه الفنان الذي بدت عليه علامات الوحدة ووجنته التي كان يضعها على الآله ونظراته الشاردة المتأثرة بأنغام الكمان: كل هذا هز مشاعر "لوريان".

انتهت الفتاة بأن أهملت أحاسيسها لتندمج بكليتها في سحر الموسيقى وتتأمل جمال هذا الرجل وآلته. فجأة أحس الرجل الشهير بحضورها. اختفت آخر الألحان مع سكون الصباح ليقع بصره على الشابة. ثم أعاد اللحن وتلاقت نظراته بالعبارات الموسيقية ليزيد سحرها. شعرت "لوريان" أنها وقد عجزت عن المقاومة قد انجذبت تماما لـ"ڤولوديا". كانت تتمنى التواجد بالقرب منه.. ولما همت بالاقتراب كان قد حرك شفتيه ليقول:

- لا!

وقعت هذه الكلمة على مسامعها وكأنها دش بارد. الآن قد بدا لها الموقف واضحا.. إنه لا يرفضها إنما يرفض الاشتراك في الحفل! تنهدت الفتاة ورفعت يديها علامة التسليم.

سر "ڤولوديا" لهذا وبطرف قوس الكمان أشار لها إلى مقعد ليس

liilas.com قمر الليل

بعيدا عنه. وفي أثناء اقتراب "لوريان" من المقعد كان "قولوديا" يقوم بعزف مقطوعة تتفق أنغامها مع خطواتها.

وحتى تتحاشى نظرات "قولوديا" أغلقت الفتاة عينيها لتستمتع بالأنغام. يا لها من موهبة! يا له من نبوغ! وها هي الفتاة تشعر بدافع - قد يكون روحيا - للتعاطف مع هذا الفنان المبدع القادر على خلق هذا السحر بآلة بسيطة مثل هذه.

بعد ساعتين وضع "قولوديا" الكمان وحيا الفتاة التي كانت تعتبر رفضه جريمة في حق الفن. تراجع "قولوديا"، أمسك بـ"القبعة" ووضعها على رأسه. وقال مبتسما:

- فيم تفكرين يا جميلتي؟!

فهمت الفتاة أنه ينتظر كلمات إعجاب أو مديح لكن مادام من طبعه أن يقوم بمداعبات مثيرة قررت أن تتبع منهجه فقالت:

- مقبول!! على الأقل بالنسبة لزارع.

اغتم أولا ثم عاد وابتسم:

- كنت أعتقد أنك ستظهرين تقدما وأن اتصالاتنا ستكون شيقة.

أجابت بجفاف:

- أريد معرفة الحقيقة. لماذا تخليت عن الظهور في المجتمعات يا "قولوديا". إنها خسارة كبيرة لنا جميعا.

ثبت الشاب نظره عليها لحظة ثم نهض إلى النصف ليضع القفاز في جيبه.

قال:

- تعالي معي لرؤية شجر التفاح يا "لوريان".

أمسكت الفتاة باليد التي امتدت لها لكي تساعدها على النهوض. عملت على ألا تقشعر للمسة قبضته التي أغلقها على يدها.

قالت وهي تتبعه في القاعة:

- ألا تجيب عن سؤالي؟

- "قولوديا سيرجين" سيرد عليك لكن قد لا تفهمين إذا كنا سنمكث في المنزل.

مر بها عن طريق المطبخ ووصلا إلى آخر المبنى حيث كان حمام سباحة ذو المياه الزرقاء هناك.

قالت "لوريان":

- بالنسبة لزارع فإن "قولوديا" يعيش حياة مناسبة.

أجابها:

- إن العودة إلى الأرض لا تعني العودة إلى البدائية.

وعلى الجانب الآخر لحمام السباحة كان يرتفع منزل خشبي مجرد من النوافذ لكن به مدخنة يخرج منها بخار.

شرح لها:

- إنها "السونا". إني حريص دائما على أن تكون في حالة عمل. أتودين تجربتها؟

أجابته:

- كنت أظن أننا ذاهبان لرؤية شجر التفاح.

- ربما مرة أخرى.

فتح "قولوديا" حاجزا يطل على الحقول حيث تواجدا وسط الزهور البرية التي تتهادى عليها الفراشات. ثم وصلا إلى البساتين المليئة بشجر التفاح. تخيلت "لوريان" أنها دخلت عالم الأحلام. كانت أغصان الأشجار بأوراقها الخضراء مليئة بباقات زهر التفاح الذي يختلط فيه اللون الأبيض مع الوردي ذي الرائحة الذكية كل هذا كان يشد انتباه الفتاة. لم يسبق لها التمتع بسحر الربيع! بعد ذلك لمحت جرارا ضخما

liilas.com
ومـــر الليل

وسط الحديقة ففكرت في أن شخصا مثل "ڤولوديا" لا يمكن أن يجيد استخدامه.

قال لها وهو ممسك بيدها:

- هيا لأريك مكاني المفضل..

اصطحبها تحت أشجار التفاح المزهرة إلى أن وصلا إلى جدول كان خرير مائه المختلط بتغريد العصافير يؤلف لحنا شجيا.

قالت "لوريان":

- يا له من مكان رائع! يا للهدوء والسلام! أشعر وكأننا بمفردنا في العالم.

أشرق وجه "ڤولوديا" بابتسامة تعبر عن السرور. ثم قال:

- قبل أن أهتم بمشروعي هذا كنت لا أعرف في الدنيا سوى الكمان. وعندما...

سكت "ڤولوديا" فجأة وتفرس في وجه "لوريان". ربما يكون غير واثق بأنها ستكتم سره. لأنه غير مجرى الحديث.

- كنت ملكا للآخرين. أشبه سلعة يشترونها ويبيعونها حسب رغبتهم.

قالت:

- أفهم أن المفروض ألا تخلو حياتك من فترة فراغ؟ غير أن هذا لا يدعو إلى أن ينفصل الرجل عن فنه! كما أنها أيضا حياتك ومهنتك.

أجاب:

- ممكن! لكن كان قد حدث لي منذ حوالي عام شيء دفعني إلى التساؤل عن نفسي: من أنا؟ أين أنا؟ من الشخص المختفي خلف الآلة؟ أيبقى شيء بعد أن تنتهي الموسيقى؟

قالت "لوريان" مؤكدة بحرارة:

- بالتأكيد هناك أحد خلف الموسيقى!

- لا أستطيع تأكيد ذلك تماما.

- وسيادتك ترجو إيجاد ما تبحث عنه هنا؟ أتظن حقا أن الإجابة عليه تكمن في هذا البستان؟!

اقتربت "لوريان" من الشاب الذي خفض غصن شجرة تفاح. ثم قال:

- إن ثمرات التفاح هذه باكورة. إني أشعر في هذا البستان أني قريب من الطبيعة. قريب من كل البدايات.

وفجأة أتت نحلة واستقرت على إحدى زهور الغصن المائل. تراجعت "لوريان" خطوة إلى الخلف إذ خشيت أن تلحقها الحشرة بأذى!

ضحك "ڤولوديا" وأمسك بذراعها. ثم أردف:

- إنها لا تؤذيك إلا إذا حاولت الإمساك بها.

سكت برهة ليستطرد:

- انظري إلى هذه النحلة كيف تقبل الزهرة وتمتص رحيقها. إنها تمثل الحب.

ارتبكت الفتاة لهذه الكلمات وعلت الحمرة وجهها.. اقترب منها ووضع قبلة رقيقة على وجنتها.. ولما همس في أذنها كانت نبرات صوته كنغمات الكمان. أكمل:

- أتعتقدين أن هذه الزهرة تشعر بالسرور؟

رفعت "لوريان" رأسها والتقت نظراتها بنظرات الشاب. أجابت:

- أرى أنه ينبغي أن تكون هذه الزهرة سعيدة جدا.

ترك "ڤولوديا" غصن الشجرة يرتفع بهدوء حتى لا يزعج النحلة.

كان لهذه الفترة التي قضتها "لوريان" مع "ڤولوديا" تأثير عليها إذ بدأت تشعر بميل شديد إليه. ابتسم "ڤولوديا" وقال:

- أعتقد أن النحلة تشعر بنفس السرور الذي تشعربه الزهرة. وأنت

liilas.com
وما الليل

يا "لوريان" جميلة جدا، وديعة جدا وأيضا نادرة جدا.

قطع "ڤولوديا" فترة الصمت التي تلت هذا الحديث بقوله:

- إن الذي حدث بين الزهرة والنحلة أمر جميل وطبيعي في الدنيا. ومن الممكن أن يكون بيننا مثله.

تنهدت الفتاة ورفعت بصرها نحو فرع الشجرة الذي ارتفع. قالت وهي تتراجع:

- لكن النحلة اختفت وبقيت الزهرة وحيدة مع ذكرياتها.

قام "ڤولوديا" بتقبيل جبين "لوريان" قبل أن يدعها تنصرف. ثم همس:

- التي خسرت أكثر هي النحلة. لماذا عدت إلى هنا يا "لوريان"؟

- كنت أريد سماعك وأنت تعزف على الكمان.

قطب "ڤولوديا" حاجبه ثم صاح:

- فهمت الآن لماذا تركت الفن لأتجه نحو الاهتمام بزراعة التفاح؟ حتى عندما أقبلك أنت لا تجدين في إلا امتداد ألحان آلتي.

هم "ڤولوديا" بالانصراف ثم ابتعد بخطى واسعة تحت الأغصان المزدهرة. وقفت الفتاة لحظة وقد أخذتها الحيرة ثم ما لبثت أن أخذت تجري لتلحق به. صاحت:

- لا! لا يا "ڤولوديا". هذا خطأ. لم أفكر يوما ما في مثل هذا الأمر...

وصل الشاب إلى الجرار وأخرج قفاز العمل من جيبه. وأجابها:

- أنت لم تعودي من أجل الإنسان إنما من أجل عازف الكمان. كنت أعلم أني سأكتشف الحقيقة بقبلة.

- هكذا وضعتني تحت الاختبار. كيف استطعت ذلك؟

أصدر الجرار صوتا وضع حدا للمناقشة. وقفت "لوريان" والغضب يملأ قلبها تراقب الجرار وهو يختفي. هكذا نصب لها "ڤولوديا" فخا وقعت فيه بكل غباء. لكن ما كان يزيد ثورتها أكثر أن "ڤولوديا" نطق

بالحقيقة: لم تكن لتهدف بعودتها إلى لقائه إنما لكي تقنعه بالاشتراك في الحفلة.

أمسكت الفتاة بكتلة طين وألقت بها في ظهر هذا الرجل العنيد الذي لا يطاق.. كادت تنفجر من الغيظ.

التفت "ڤولوديا" ليلقي لها ابتسامة صفراوية. كادت الفتاة تصيح لما رأته يسخر منها بهذه الطريقة فانصرفت جريا. اجتازت المروج بسرعة فائقة وها هي أمام سيارتها.

ولما رآها "چورچ ميللر" أسرع على السلالم للقائها.

قالت له "لوريان" بنبرة آمرة:

- لا تنطق بكلمة واحدة يا "چورچ". لا أريد سماع شيء عن "ڤولوديا".

- أعلم ذلك تماما يا سيدتي. إن السيد "سيرچين" عنيد جدا.

قالت وهي تأخذ مكانها أمام عجلة قيادة سيارتها:

- بل رجل حقير!

- الأصح أنه رجل سجين.

- سجين؟

- إن السيد "سيرچين" تخلى عن الفن تحت تأثير صدمة عاطفية شديدة. وهو الآن نادم على قراره هذا. غير أن كبرياءه تمنعه من التراجع.

سألته "لوريان":

- ما هذه الصدمة يا "چورچ"؟

توقفت الفتاة قليلا ثم انطلقت وقبل أن تنصرف قالت له من خلف الزجاج الذي خفضته:

- على كل حال عليه أن ينسحب وحده من فخه الخاص.

وفي أثناء اتجاهها نحو القرية خيل لها أنها تعيد سماع أنغام كمان

liilas.com
قمر الليل

"ڤولوديا" في نسيم الصباح النقي.. ارتجفت الفتاة رغما عنها. كانت لا تريد الاعتراف بأنها سوف تقع في حب هذا الرجل ذات يوم. وإن كانت هذه الفكرة المقلقة لا تفارقها. ولما عادت ودخلت مكتب عمها "چيل" صاحت وهي تدور مثل وحش في قفصه:

- لا أكاد أصدق نفسي. لقد وصل بي إلى درجة دفعتني إلى أن أقذفه بالطين. إن هذا الرجل يبدو وكأن له قدرة تجعلني أتصرف مثل صبية.

تمتم "چيل ساهما:

- إذن كف "ڤولوديا" عن الظهور في المجتمعات ليجد ذاته.

- وأرجو أن يكون قد دفن نفسه فيما يعتقد أنه اكتشفه.

ابتسم العم "چيل" قائلا:

- وربما لا يكون بمفرده للقيام بعمل اكتشافات عن نفسه.

صاحت الفتاة ثانية:

- بالضبط! أنا لا أحب "لوريان" التي دفعني "ڤولوديا" إلى أن أكونها هذا الصباح. كنت دائما فخورا بقدرتي على الاحتفاظ بهدوئي. كما أنه لم ينجح فقط في أن يجعلني أتصرف بمحض إرادتي ثم أثور بل أكثر من ذلك كان هذا يضحكه. شيء لا يحتمل!

قال "چيل":

- لم أرك محتدة هكذا منذ سنوات.

- أنا لست محتدة، أنا ثائرة!

- إني أتساءل: ماذا نستطيع القيام به لنقنع السيد "سيرچين" بالعدول عن رأيه لكيلا نفقد تشريفه لحفلنا...

قاطعته "لوريان":

- ليس له ما يشرفنا.

- ربما يقبل القيام بتعليم طلابنا. حاولي أن تعرضي عليه هذا أيضا

- أنا؟ لا يمكن. لن أعود إليه ولن أراه ثانية. أنا لا أفهم كيف يستطيع شخص مثل هذا تقديم مثل هذه الألحان الجميلة. إني أرفض العودة هناك. غير أنه علي أن أعترف أني أعاني افتقاري لسماعه يعزف بعد الآن.

وعلى الرغم من غضبها وثورتها إزاء تصرفات "ڤولوديا" كانت "لوريان" تشعر بانقباض قلبها وهي تفكر في أنها لن تراه.

قال "چيل":

- يا للخسارة! إنك لن تستطيعي الاختفاء في قاعة الموسيقى. هكذا تسمعينه دون أن تواجهيه.

فترة صمت طويلة تبعت هذه الملحوظة خلالها كانت "لوريان" تعض على شفتها وتنظر إلى الأفق شاردة إلى أن تمتمت:

- أني أتساءل إذا...

لكنها لم تكمل جملتها.

liilas.com
قمر الليل

الفصل الرابع

مرت أيام عديدة لم تخضع خلالها "لوريان" لرغبتها في سماع "ڤولوديا" وهو يعزف. ثم قررت ألا تحرم نفسها من هذه المتعة في صباح كل يوم من الأيام الثلاثة التالية.

وهكذا كانت حوالي الساعة الثامنة صباحا تضع سيارتها في مدخل الممر المؤدي إلى المزرعة ثم تتقدم بخطى ثابتة دون إصدار أي صوت وتجلس على الخضرة تحت نوافذ قاعة الموسيقى حيث يقوم الفنان بعمله.

أن تكتفي بالتمتع بانغام الكمان دون أن ترى الفنان الماهر كان هذا يهبها إحساسا بالفن غير أنها لا تريد مواجهته مهما كانت الظروف "چورچ" كان يعلم أن الفتاة تأتي ولا يرى في ذلك أي غضاضة. بل بالعكس كانت هذه المحاولة تسره تماما حتى إنه اشترك في اللعبة وعرض على "لوريان" مقعدا طويلا.

مضى شهر إبريل وها هو شهر مايو يبدأ وكانت "لوريان" تعلم أنها في اليوم الرابع منه عليها حضور البروفة. كما أنها تعلم أن القرية ستفتح أبوابها للطلاب في الأيام القليلة القادمة. وأن عليها إنجاز أمور كثيرة تخص هذا الأمر. وبالتالي لن تجد الوقت اللازم للحضور إلى المزرعة. الأساتذة والطلاب سيصلون في نفس اليوم وعليها الاهتمام بهم.

كانت "لوريان" تبدو كالزهرة اليانعة في زيها المكون من بنطلون من القطن الأبيض وبلوزة من الحرير الأزرق. تقدمت الفتاة في الممر. لم تشعر قط أنها تختلس بعض ساعات ممتعة من فن هذا الرجل الذي كان قد أربكها بل بالعكس كان يبدو لها أنها تنتقم.

ولما استقرت الفتاة في مقعدها كان "ڤولوديا" قد بدأ يعزف موسيقى دا كيڤالدي".

أغلقت "لوريان" عينيها لتتذوق النغم ثم ما لبثت أن فتحتهما بعد قليل. سمعت شيئا يشبه رنين جرس: "ڤولوديا" لم يكن يعزف بنفس الروح السابقة، يبدو أنه لا يتمتع في هذا اليوم بصفاء الذهن. مرة أخرى أغلقت الفتاة عينيها لتسترسل في أفكارها. ماذا ستكون النتيجة إذا رافقت "ڤولوديا" في العزف على الكمنجة الكبيرة؟ لا داعي للتفكير في هذا.. كانت أيضا تفكر في أنها لا تخشى العزف مع الـ"أوركسترا" إنما أن تقف بمفردها على المسرح أمام الجمهور لتقوم بالعزف المنفرد، فإن جسمها يقشعر من الخوف لمجرد التفكير فيه.

عادت "لوريان" لتفتح عينيها مرة أخرى لكن في هذه المرة لكي تتأمل جمال الطبيعة الخضراء وكانت زهور التفاح قد سقطت لتحل محلها الثمار. استنشقت أيضا عطر الورود والزهور المختلفة. التفتت فجأة لتجد نفسها في مواجهة "ڤولوديا".

liilas.com
قمر الليل

كان جالسا القرفصاء على بعد عدة أمتار منها ينظر إليها مبتسما وشعاع مكر يومض في عينيه.

- صباح الخير يا "لوريان" الجميلة.

أنصتت "لوريان" من جهة النافذة التي يصدر عادة منها صوت الكمان وفهمت لماذا يختلف في هذا الصباح.

قالت:

- إنها أسطوانة. أليس كذلك؟

قال مازحا:

- أعتقد!

- كيف علمت أني هنا؟

اقترب "ڤولوديا" من مقعدها وجلس على الأرض. كانت الشمس تعكس أشعتها الذهبية على شعره وكانت عيناه تبدوان في لون أغمق من المعتاد وسط وجهه الذي لفحته حرارة الشمس.

قال بنبرة ناعمة:

- إني كفيل بمعرفة إذا كانت جميلتي "لوريان" في البستان أم لا. إن الريح تأتيني بالرسالة.

وإن كانت تلوم نفسها على ارتباكها بهذه السهولة إلا أنها ابتسمت. ثم قالت:

- "چورچ" خائن. لقد وعدني ألا يخبرك بزياراتي.

أجابها:

- "چورچ" صديق حميم لـ"ڤولوديا". إنه لم يخبرني بهذا بطريقة مباشرة. نقدر أن نقول: إنه أتاح لي فرصة سماعه. ولماذا يا "لوريان" لم تأتي إلى قاعة الموسيقى؟

أجابت:

- لقد منعتني بطريقة أو أخرى من العودة في آخر مرة تقابلنا فيها. يؤسفني أن أعلمك بأني أجد متعة في سماع ألحانك. ولا حيلة لي في ذلك. إني أعشق الموسيقى وبما أنك تنظر إلى هذا الوضع كإهانة لك فقد فضلت الاختفاء.

قال:

- كان في إمكانك شراء أسطوانة مادمت لم تتبيني الفرق. إني لم أجد وسيلة أخرى أفاجئك بها.

ردت "لوريان":

- حقا! كان في إمكاني شراء واحدة من أسطواناتك.

غير أنها امتنعت عن الاعتراف بأن لديها كل تسجيلاته!

سألها:

- إذن لماذا أتيت؟

كررت:

- نعم لماذا؟

كانت "لوريان" توجه لنفسها هذا السؤال. في الوقت الذي كانت تشعر فيه أنها بعد أن كانت منذ سنوات لا تميل لرجل، انجذبت لـ"ڤولوديا".

كرر "ڤولوديا" سؤاله:

- لماذا أتيت يا "لوريان"؟

- إن عمي "چيل" يتساءل: هل تقبل سيادتك إعطاء دروس في الموسيقى لطلابنا!

قال مرتابا:

- وهل هذا هو سبب زيارتك؟

- نعم! لأن خبرتك ستكون ثروة علمية بالنسبة لهم. خفضت الفتاة عينيها ونظرت إلى أصابعها حتى لا يجد "ڤولوديا" فرصة لقراءة شيء

liilas.com
قمر الليل

فيهما.

قال:

- ولماذا لم يأت عمك "چيل" بنفسه ليقوم بهذه المحاولة؟

ثم اقترب منها ولمس ذراعها بلمسة خفيفة اقشعر لها جسمها.

أجابته:

- إن عمي "چيل" ليس مجنونا. إنه يفضل أن يعهد لغيره بهذه المهام الصغيرة.

- لكنه إذا أتى فلن يلحقه أي خطر.

- هذا يعني أني أتعرض للخطر؟

- إنه موضوع وجهة نظر! هذا متوقف على إحساسك. لأنك تشعرين إذا كنت مهددة أم لا!

أجابته وهي تنهض:

- لست متأكدة من تقديري لفكاهتك ومزاحك هذا.

كان "ڤولوديا" مازال جالسا على العشب. أمسك بيدها ليمنعها من الانصراف ثم ألقى إليها نظرة جادة. قائلا:

- أنا لا أمزح يا "لوريان". أنا لا أكف عن التفكير فيك منذ لقائنا الأول. وأعتقد أني أحبك.

فوجئ "ڤولوديا" باعترافه هذا..

قالت مُعلقة:

- إني واثقة يا سيد "سيرچين" بأن لك - مثل كل - فنان مغامرات عاطفية كثيرة.

- إنها حقيقة لكن ولا واحدة منها كانت بهذه القوة.

"لوريان" رفضت تصديقه واتجهت نحو سيارتها. ثم قالت:

- هل وافقت على القيام بالتدريس؟ في إمكانك اختيار الساعات التي

تناسبك.

نهض "ڤولوديا" وتبعها. ثم قال:

- إني أجهل كل شيء عن التعليم.

اقترب منها إلى درجة أنه كاد يلمسها: أما هي فمن خوفها من رد الفعل قامت بإخفاء يديها في جيبيها وانصرفت وهي تنظر إليه من أعلى كتفها. ثم قالت:

- أنت تريد أن تتعلم معرفة الحياة. وفي هذا الصدد الأولاد وسيلة أفضل من زراعة التفاح وأنا أضمن لك ذلك.

أجاب "ڤولوديا" وقد أشرق وجهه:

- الآن قد فهمت. أنت تريدين أن أحضر إلى القرية لأشاركك حفلك. أليس كذلك؟

- لا إطلاقا! إني أتمنى فقط أن تقوم بمساعدة طلابنا!

غير مجال الكلام قائلا:

- تعالي لرؤية حديقتي.

- هل أسألك العفو؟

- هل رأيت النحلة والزهرة؟ إن ما قامت به عمل على تكوين الثمرة.

انصرفا متشابكي الأيدي حتى وصلا إلى البستان بينما كانت أنغام الكمان الصادرة من نافذة قاعة الموسيقى تنسجم مع تغريد العصافير على الشجر.

"ڤولوديا" وجد الشجرة التي كانا قد جلسا تحتها وتبادلا الحديث بالقرب من مجرى الماء الذي مازال يجري دائما في ظل الأشجار. ثم تفحص الغصن الذي كانت تقابلت عليه الزهرة مع الحشرة. وكم دهشت "لوريان" عندما اكتشفت أن ثمرة فاكهة صغيرة جدا مستديرة حلت محل الزهرة.

liilas.com
ومر الليل

فيهما.

قال:

- ولماذا لم يأت عمك "چيل" بنفسه ليقوم بهذه المحاولة؟

ثم اقترب منها ولمس ذراعها بلمسة خفيفة اقشعر لها جسمها.

أجابته:

- إن عمي "چيل" ليس مجنونا. إنه يفضل أن يعهد لغيره بهذه المهام الصغيرة.

- لكنه إذا أتى فلن يلحقه أي خطر.

- هذا يعني أني أتعرض للخطر؟

- إنه موضوع وجهة نظر! هذا متوقف على إحساسك. لأنك تشعرين إذا كنت مهددة أم لا!

أجابته وهي تنهض:

- لست متأكدة من تقديري لفكاهتك ومزاحك هذا.

كان "ڤولوديا" مازال جالسا على العشب. أمسك بيدها ليمنعها من الانصراف ثم ألقى إليها نظرة جادة. قائلا:

- أنا لا أمزح يا "لوريان". أنا لا أكف عن التفكير فيك منذ لقائنا الأول. وأعتقد أني أحبك.

فوجئ "ڤولوديا" باعترافه هذا..

قالت مُعلقة:

- إني واثقة يا سيد "سيرچين" بأن لك - مثل كل - فنان مغامرات عاطفية كثيرة.

- إنها حقيقة لكن ولا واحدة منها كانت بهذه القوة.

"لوريان" رفضت تصديقه واتجهت نحو سيارتها. ثم قالت:

- هل وافقت على القيام بالتدريس؟ في إمكانك اختيار الساعات التي

تناسبك.

نهض "ڤولوديا" وتبعها. ثم قال:

- إني أجهل كل شيء عن التعليم.

اقترب منها إلى درجة أنه كاد يلمسها: أما هي فمن خوفها من رد الفعل قامت بإخفاء يديها في جيبيها وانصرفت وهي تنظر إليه من أعلى كتفها. ثم قالت:

- أنت تريد أن تتعلم معرفة الحياة. وفي هذا الصدد الأولاد وسيلة أفضل من زراعة التفاح وأنا أضمن لك ذلك.

أجاب "ڤولوديا" وقد أشرق وجهه:

- الآن قد فهمت. أنت تريدين أن أحضر إلى القرية لأشاركك حفلك. أليس كذلك؟

- لا إطلاقا! إني أتمنى فقط أن تقوم بمساعدة طلابنا!

غير مجال الكلام قائلا:

- تعالي لرؤية حديقتي.

- هل أسألك العفو؟

- هل رأيت النحلة والزهرة؟ إن ما قامت به عمل على تكوين الثمرة.

انصرفا متشابكي الأيدي حتى وصلا إلى البستان بينما كانت أنغام الكمان الصادرة من نافذة قاعة الموسيقى تنسجم مع تغريد العصافير على الشجر.

"ڤولوديا" وجد الشجرة التي كانا قد جلسا تحتها وتبادلا الحديث بالقرب من مجرى الماء الذي مازال يجري دائما في ظل الأشجار. ثم تفحص الغصن الذي كانت تقابلت عليه الزهرة مع الحشرة. وكم دهشت "لوريان" عندما اكتشفت أن ثمرة فاكهة صغيرة جدا مستديرة حلت محل الزهرة.

liilas.com
ومر الليل

قال:

- ها هي تفاحتنا!

وقفت الفتاة تتأمل الثمرة الخضراء صغير حجم. والتي كانت تلاطفها الشمس في هذه اللحظة.

عادت للحديث:

- أنت تتكلم مثل والد يتحدث عن أبنائه! إني أتساءل: كيف ستصل إلى الاقتناع ببيعها؟

ابتسم "ڤولوديا" ثم أجاب:

- أنا لست والدها إنما حارسها.

وعندما تنضج ثماري سأتركها تواجه قدرها.

ثم أمسك بيدها ثانية وأخذها إلى مكان أبعد تحت الأشجار.

سألها:

- هل كان لك أطفال من زوجك الأول؟

أجابته:

- لا. إن زوجي الأول كان - هو ذاته - طفلا وكنت أجد صعوبة في العناية به.

- وكنت تتمنين أن يكون لك طفل؟

- نعم، لأني أحب الأطفال كثيرا.

لم يعلق "ڤولوديا" على كلامها. أما هي فتضايقت لفضوله هذا.

سألته:

- وأنت هل عندك أطفال؟

تمتم بنبرة حزينة:

- الآن لا. لم يعد عندي لأنه كان عندي طفلة واحدة: بنت صغيرة لذيذة.

- وما الذي حدث؟

- كانت تدعى "سالومي". ماتت فجأة وكان وقتئذ عمرها شهرين.

- يا للهول! لقد كانت حتما صدمة قوية بالنسبة لك.

أكمل "ڤولوديا":

- وكانت أقوى بالنسبة لزوجتي لأنها كانت وقتئذ بمفردها لأني كنت في الخارج للقيام بسلسلة احتفالات. وفي الحقيقة إني لم أتواجد هنا طول الشهرين اللذين عاشتهما ابنتي، إذ لم أمكث معها سوى عشرة أيام ثم أتى هذا اليوم ليزيد عدد الذكريات المؤلمة. الماضي هو الماضي ولا نستطيع تغيير شيء فيه. هيا نصعد إلى الهضبة لأن منها نستطيعين مشاهدة كل أملاكي.

كانت "لوريان" تود توجيه أكثر من سؤال لـ"ڤولوديا": ترى هل كان موت هذه الصغيرة المسكينة أحد أسباب رفضه للشهرة؟ وهل كان أيضا سببا في طلاقه؟ ظلت ترمقه بأسى من أعلى الهضبة في صمت مؤلم.

ثم استراحا على سجادة من العشب الأخضر في مواجهة منظر ريفي خلاب. وكان منزل "ڤولوديا" الأبيض يبدو من على بعد مرتفعا وسط الأشجار المثمرة. أما حمام السباحة فكان يبدو كنقطة ماء. إلى أن أتى سؤالها يقطع هذا الصمت:

- هل أنت سعيد يا "ڤولوديا"؟ ألا تنقصك حرارة الجماهير؟

أجاب بأسلوب فلسفي:

- نحن لا نستطيع أبدا الحصول على كل ما نتمنى. المهم! أنا سعيد في هذه اللحظة بالقرب منك.

ألقى "ڤولوديا" إلى الفتاة نظرة تفيض حنانا. ثم قام بانتزاع المشابك التي تضم شعرها واحدا بعد الآخر ليتركه ينسدل على كتفيها. ثم تمتم:

liilas.com
قمـــرلايل

– كم أنت جميلة يا "لوريان"! إن حياتي كانت فارغة قبل أن أتقابل معك.

رفعت "لوريان" رأسها وابتسمت له.

ثم استطرد:

– لو علمت يا جميلتي "لوريان" ما يحدث لك. ما يحدث لنا. إنه أجمل بل أروع شيء في الدنيا. أعتقد أنك كنت تفكرين في كما كنت أحلم بك طوال هذه الأيام يا "لوريان". أليس كذلك؟

أجابت:

– كنت أفكر فيك فعلا من حين لآخر.

وضع "ڤولوديا" يده على شعرها الأسود وقبلة حنان على جبينها.

ثم قال بصوت منخفض:

– لماذا أتيت تزعجين هدوئي؟

قالت:

– بل أنت الذي أزعجت هدوئي. عندما أتيت عندك كانت لي أهداف بريئة وأنت الذي قمت بتعقيد الأمور.

أجاب:

– لأني كنت أسير سحرك يا "لوريان".

ثم تمتم:

– واعلمي أنه إذا كنت قد أتيت من أجل ذلك فقد حازت جهودك نجاحا يفوق كل تصور.

سألته:

– ماذا تقصد؟

– دعيني أحبك يا "لوريان" وسوف أهبك كل ما ترغبين.. كل حياتي. سأعزف على الكمان من أجلك.. سأقوم بالاشتراك في هذا الحفل إذا

شئت وسأعلم طلابك كل أسرار فني.. كل ما تشائين!

انتصبت الفتاة وقذفته بنظرة قاسية. ثم أردفت:

– كيف تجرؤ؟

وابتعدت..

قال "ڤولوديا" قلقا:

– "لوريان" لا تنصرفي. ماذا بك؟

قالت:

– إن كنت قد اعتقدت أني جئت لأهبك جسدي مقابل خدماتك الموسيقية تكون مخطئا تماما!!

صاح "ڤولوديا" محاولا الإمساك بيدها:

– أنت أيضا تخطئين يا "لوريان" في تفكيرك هذا.

قالت:

– لا لم أخطئ. اعلم جيدا أني لست من هذا النوع من النساء. إن شرفي أغلى من أعظم موسيقار... مفهوم يا "ڤولوديا سيرچين"؟

– "لوريان"! أرجوك اسمعيني.

– لا! إن كل واحد من أحاديثك يزيد الأمور تعقيدا.

قالت هذا وبدأت تنزل من على الهضبة.

– لا تقومي بتمثيل دور الفتاة الطاهرة. لأني أعلم تماما أنهم أرسلوك إلي حتى أنجذب لسحرك وبالتالي أخضع للاشتراك في هذا الحفل. إنها ليست المرة الأولى التي توجه لي فيها هذه الضربة!

فضلت "لوريان" الصمت لأن في داخلها كانت تعلم أنه لا يخطئ في قوله هذا. ولعنت في نفسها عمها الذي دفعها إلى هذه المحاولة.

وأسفل التل وقبل أن تسلك "لوريان" طريق الحديقة أمسك "ڤولوديا" بذراعها.

liilas.com
وم ـــرالليل

صاحت:

- لا تلمسني! اذهب . الأفضل لك أن تراقب أشجارك.

ثم سارا في صمت. استطردت:

- اسمع يا "ڤولوديا" إن كنت سمحت لنفسي بلقائك أكثر من مرة وتبادل الأحاديث الودية معك، فهذا لأني شعرت بميل بريء نحوك. غير أنك أفسدت هذا بظنونك الغبية. لأنك تعتقد أنه لا يوجد على الأرض إلا الناس الانتهازيون.

قال:

- تعالي معي إلى المنزل لنتكلم.

- ليس لدي ما أقوله.

كانت الفتاة تختنق ولم تقدر أن تنطق بكلمة واحدة أخرى إذ إنها انخرطت في البكاء. ولما وصلت إلى سيارتها. سألها "ڤولوديا":

- متى ستعودين؟

- لن أعود أبدا. لأني لا أنتظر شيئا من شخص لا يكن لي أي احترام.

انصرفت ... وقبل أن تختفي في آخر الممر نظرت الفتاة في مرآة سيارتها ولما رأت "ڤولوديا" على السلالم تألمت كثيرا جسديا ومعنويا... كيف تستطيع أن تحبه؟ لكن هذا هو الوضع.

قالت متأثرة:

- يا إلهي ساعدني. لأنك إن لم تساعدني فلا أجد من يقوم لي بذلك!!

liilas.com

الفصل الخامس

كانت "لوريان" مشغولة في الأسبوعين التاليين إلى درجة لم تسمح لها بالتفكير في "ڤولوديا". إذ منذ وصول الطلاب لم تجد دقيقة فراغ واحدة تتمتع بها.

ولما كانت أفواج الطلبة يوجد فيها الموهوب المتمرد والمطيع إلا أن "لوريان" كانت تبذل كل جهدها حتى يشعر كل منهم بالارتياح. ولا يخفى أنها كانت تشعر بالسعادة بينهم وتصل إلى تكوين علاقات ودية معهم.

وعلى الرغم من كونها لا تجد الوقت اللازم للتفكير في "ڤولوديا" كان على "لوريان" العمل على مقاومة رغبتها في العودة إلى المزرعة التي كانت تساورها في أوقات الراحة وهذا لأنها كانت تريد أن تتأكد أن ثورتها الداخلية قد هدأت.

بالتأكيد كان في استطاعة "ڤولوديا" أن يزورها في القرية غير أن

كبرياءه كانت تمنعه من أن يجد نفسه مدفوعا مرة أخرى. وكانت "لوريان" قد عزمت على ألا تقوم بمحاولة أخرى معه. لا يهم!!

كانت أيضا الفتاة تجد صعوبة في تجاهل لقاءاتها معه، ابتساماته قبلاته لأن كل هذا كان يلاحقها في ليالي السهاد. والسبب في ذلك هو هذا الإحساس بالتعاطف معه منذ أن عرفت ما كان قد عاناه في ماضيه

أقبل الأسبوع الثالث وكانت "لوريان" تستمع متعطشة إلى عازف الكمان المفضل لديها: "چيل لوموني".

كان هذا الأخير يتمتع بموهبة قد لا تظهر إلا مرة في كل جيل..! وكان ينبئ بأن مستقبله سيكون لامعا

وعندما كان يعزف لـ"شوبير" لا يخفى أن المقطوعة كانت متطابقة تماما لكنها كانت تخلو من روح "شوبير" الأمر الذي كان يثير "لوريان" كان وجود أستاذ آخر في فصل "لوريان" قد خفف بعض الشيء من ضيقها. ولما تلاقت نظرات "لوريان" بعيني "چيل" وجدته ينظر إليها باستخفاف.

توجهت "لوريان" إلى المكتب حيث ينتظرها "ڤولوديا". نسيت "لوريان" القرية ، و"چيل" والكمان عندما وجدت نفسها وجها لوجه مع "ڤولوديا" كان جالسا على زاوية المكتب وكان يرتدي "چينز" أسود وكان يهز إحدى ساقيه. بادرته بقولها:

- صباح الخير يا "ڤولوديا".

- صباح الخير يا "لوريان".

- يا للمفاجأة!

- نعم إنها فعلا مفاجأة لـ"ڤولوديا سيرچين" أيضا.

ثم تلت هذه العبارات فترة صمت شعرت خلالها "لوريان" أنها أخطأت في إهمال العناية بمظهرها. لو كانت تعلم أن "ڤولوديا" سوف

يأتي لما ارتدت هذا الشورت الأبيض القديم وهذا الـ "تي - شيرت" المرسوم عليه مفتاح صول! أما شعرها فكانت قد ضمته على هيئة ذيل حصان بشريط وردي.

قطعت "لوريان" فترة الصمت هذه بسؤالها:

- ماذا تعمل هنا يا "ڤولوديا"؟

ألقى "ڤولوديا" نظرة ضيق تجاه الباب الذي تصدر منه أنغام "چيل".

قال بنبرة عتاب:

- لماذا لم تأتي لرؤيتي؟

- افتقدتني يا "ڤولوديا"؟

أجاب وقد عاد إلى طريقة حديثه الودية:

- نعم، وأتيت لأعتذر عن الأسلوب الذي تعاملت به معك المرة الماضية. هل تسامحينني؟

وإن كان قلب "لوريان" قد انقبض إلا أنها أجابته بنبرة ساخرة:

- لم يخيل لي أبدا أن "ڤولوديا سيرچين" رجل من الممكن أن يقدم اعتذارا.

أجابها:

- لا عيب في الاعتذار. غير أنك جعلت مني رجلا آخر وأنا لا أحتمل كيف تتحاملين علي. لقد هجرني النوم كما أني أيضا فقدت المتعة في العناية بأشجار التفاح. والشيء الوحيد الذي لا أنساه هو أن جميلتي "لوريان" تحتقرني.

ثم ختم قوله بصوت مرتجف:

- لذا وجب عليك الآن أن تعفي عني.

سرت "لوريان" لما رأته يرتبك في تقديم اعتذاره.

أجابته:

liilas.com
وليل

- وأنا أيضا لا أفخر بتصرفاتي معك.

- لقد قاطعني "چورچ" ولا يريد أن يكلمني لأني طردتك. واستفاد من هذه الفرصة ليقوم بزيارة أختـه في "الأريزونا". هو أيضا يحبك يا "لوريان"!

وعند سماع كلماته الأخيرة هذه احمرت وجنتا الفتاة . قالت:

- خلاصة القول : في استطاعتي أن أعفو عنك إذا كنت تتمنى ذلك.

لم يشعر "ڤولوديا" بنفسه عند سماع كلماتها هذه وفتح ذراعيه متجها نحو الفتاة.

صاحت:

- لا، إن الأمور سارت بسرعة بيننا وينبغي أن يبطل هذا كله.

ارتمت "لوريان" على مقعد وشبكت ذراعيها في حركة دفاع. أخذ "ڤولوديا" بدوره مقعدا آخر وجلس في مواجهتها.

سألها بهدوء:

- لكن لماذا يا "لوريان"؟ سبق أن أعلمتني أنك بدأت تتعلقين بي ترى هل مات عندك هذا الإحساس؟

قالت:

- ماذا تريد مني يا "ڤولوديا" بالضبط؟

- أريد أن أكون بالقرب منك وأتمنى أن أحبك ولا شيء أكثر من ذلك.

تحركت مشاعر "لوريان" عندما قرأت الصدق في عينيه. قالت:

- أعتقد أنه كان ينبغي علي أن أكلمك قليلا عن زواجي بـ"أندرو بريان" لأن هذا كان سوف يساعدك على تكشف الأمور.

- وأنا لا أطلب إلا تفهم الأمور.

قالت الفتاة:

- كان "أندرو" عازف "بيان" ممتازا. تعارفنا ونحن طالبان وتزوجنا

بعد الانتهاء من الدراسة في الـ"كونسرڤاتوار" مباشرة. كنت أحبه وأعتقد أنه كان يحبني في حدود إمكاناته.

صمتت "لوريان" برهة لما أحست من ألم عند سرد هذه الذكريات.

قال "ڤولوديا" حتى يدفعها على الاستمرار:

- وبعد ذلك؟

- كنت أجيد العزف على الكمنجة الكبيرة. بدأ "أندرو" يعتبرني منافسة له على صعيد الشهرة.

- لماذا؟ ألم يكن واثقا بنفسه؟

- أشك في ذلك. إني لم أعرف شخصا يتمتع بمثل هذه الثقة بالنفس. بالعكس. كان أيضا ينتقد كل تصرفاتي من طريقة إمساكي بالآلة إلى طريقة العزف مارا بحضوري العرض.

- إذن أنت بين أفراد الجوقة الممتازين حتى إنه يشعر بأنه مهدد إلى هذا الحد.

- ربما بعد كل ذلك يكون مفتقرا إلى الثقة والطمأنينة. وأخيرا كان علي الأقل بنجح في أن يفقدني ثقتي بنفسي أيضا. وبعد بضع سنوات من زواجنا لم أتقبل فكرة العزف المنفرد أمام الجمهور فما كان أمامي إلا القيام بعمل واحد ألا وهو تشجيع "أندرو" على التفوق في عمله!

- لقد فجعت يا "لوريان". أنت تستحقين أكثر من هذا. وماذا حدث بعد ذلك؟ هل مات؟

- نعم في حادثة طائرة. شعرت في بادئ الأمر أن هذه المأساة في صالحي. غير أني ندمت على هذا الإحساس فترة طويلة.

قال:

- ولما وجدت حريتك ألم تحاولي العودة إلى العزف المنفرد؟

أجابته:

liilas.com
قمر الليل

- بالعكس. وقفت جامدة وبفضل عمي "چيل" استطعت ارتقاء السلم قليلا. لأني بدونه ما استطعت إعطاء هذه الدروس. ولا العزف في "أوركسترا".

هنا قال "ڤولوديا":

- لقد ازداد تقديري له الآن. يبدو أنه رجل يتمتع بقدر كبير من الذكاء

قالت "لوريان":

- بل من الحب. والآن إذا كنت سردت لك قصتي فهذا حتى تفهم لماذا أنا لا أريد تكوين علاقة جادة مع موسيقار مهما كان موهوبا. لأن هذا لا يلائمنا يا "ڤولوديا".

قال:

- أتظنين حقا أني أستطيع أن ألحق بك ضررا حتى أطمئن نفسي؟ غير أني لا أملك براهين لذلك. أنا "ڤولوديا سيرچين" يا "لوريان".

- أعتقد أنك على حق لكن الأمور أخذت مجراها بيننا بسرعة فائقة وها هو الوقت قد حان حتى نضع لها حدا.

أمسك "ڤولوديا" بيدها ورفعها إلى فمه. قائلا:

- تريدين أن نبدأ أولا بالصداقة قبل الحب؟ أليس كذلك؟

جذبت الفتاة يدها منه وكأنها أحست بحرق. ثم همست:

- فعلا أريد أن نكون صديقين.

صاح "ڤولوديا" وقد لمعت عيناه:

- شكرا لله. كنت أخشى أن ترفضي سماع كلمة عني أو مني بعد ما قمت بسببك.

ثم اقترب منها ليحطيها بذراعيه لكنها منعته. قائلة:

- قلت صديقين يا "ڤولوديا". صديقين فقط.

قطب "ڤولوديا" حاجبيه ثم ضحك. قال:

- والآن هل في استطاعتك أن تخبريني من الذي يقوم بالعزف على الكمان؟ لم أسمع قبل ذلك إساءة إلى "شوبير". هل هذا هو التعليم هنا؟!

- إنه "چيل لوموني": فتى في الرابعة عشرة من عمره. يعمل ما يدور بخلده.

- عمره أربعة عشر عاما! إنه يبدو موهوبا فعلا وإن كان لم يفهم شيئا عن "شوبير" غير أنه له نقرة مرموقة.

استمع "ڤولوديا" مدة ثوان وقد تقطب جبينه. سألها:

- أمن الممكن أن أرى هذا الشاب المتمرد؟

أجابته "لوريان":

- طلباتك أوامر يا أستاذي العزيز.

ثم اقتادته إلى قاعة الدراسة. مكث "ڤولوديا" بالقرب من الباب يراقب "چيل" بانتباه. ثم أخيرا اخترق القاعة وجلس على بعد خطوتين من الفتى المراهق الذي توقف عن العزف. ثم قال:

- أنا لم أوجه دعوة إلى الجمهور.

اتهمه "ڤولوديا":

- وهي حقيقة لأنك لست مستعدا.

كانت "لوريان" تقف مستندة إلى الحائط تراقب هذا المشهد وتعض على شفتها لكيلا تبتسم.

رد الشاب:

- من طلب منك الإدلاء برأيك؟

أجاب "ڤولوديا" بهدوء:

- لا أحد. غاية ما في الأمر أني أعطيك رأيي. أنت تعزف لـ"شوبير" مثل "سترادڤينسكي". "شوبير" وديع ورقيق وليس عنيفا.

قال الشاب بنبرة أقرب ما تكون إلى نباح الكلاب:

liilas.com
ليلى

- بأي سلطان توجهني إلى طريقة عزف الكمان؟

أجاب:

- أنا "ڤولوديا سيرچين".

أجابه:

- وبعد؟ دعني في سلام أيها الفنان المسن.

أسرعت "لوريان" لتقف بينهما ولكن لم يلتفت إليها واحد منهما.

علت الحمرة وجه "ڤولوديا" ثم نهض متوعدا. حينئذ شعرت "لوريان" بإحساسه بالهزيمة فوضعت يدها على ذراعه لتخفف من ألمه.

- دعيني يا "لوريان" سأتصرف بمفردي. هل عندك والدان يا "چيل"؟

أجاب ساخرا وهو يضع الكمان تحت ذقنه:

- أمر طبيعي! أتعتقد أن البجعة هي التي أتت بي! والآن إني أنشد الهدوء، لقد أتيت إلى هنا من أجل العمل وليس للثرثرة.

بسرعة البرق انتزع "ڤولوديا" الكمان والقوس ووضعهما على المنضدة. ثم ممسكا بـ"چيل" من ياقة قميصه وغير مبال باعتراضه اقتاده إلى مكتب "چيل بريان". كانت "لوريان" تراقبهما مرتعبة.

ألقى "ڤولوديا" بالشاب على مقعد ورفع سماعة التليفون. ثم سأله:

- ما رقم تليفون والديك؟

أجاب:

- إني أحذرك وأخطرك بأن والدي سوف يرسلك تتنزه.

- الرقم!

انتهى الأمر بأن أعطى الشاب "ڤولوديا" رقم التليفون والذي ارتفع صوته وسط سكون قاتل:

- السيد "لوموني"؟ إنني أتصل بك من قرية "بريان" الموسيقية بخصوص ابنك "چيل". لا ! لا تنزعج إنه بخير.. إنه جاف، عنيد ويرفض

التوجيه... من أنا؟ "ڤولوديا سيرچين" ... شكرا على مجاملتك هذه...لكن تعد إلى ابنك.. أنا أقوم هذا العام بإعطاء دروس إلى طلاب القرية. ابنك تتدخل في العمل على إصلاح عناد ابنك وتنصحه بالاستماع إلى ما أقوله له!

ثم أعطى السماعة إلى "چيل" الذي تلخصت كلماته في: لكن... بابا... تلتها: نعم... والدي وعندما وضع السماعة التفت إلى "ڤولوديا" وقد بدا عليه الارتباك.

ترف:

- آسف لأسلوبي هذا معك في الحديث يا سيد "سيرچين" لأني لم أكن أعلم من أنت!

أجاب "ڤولوديا":

- لا حق لك أن تتحدث هكذا إلى أي شخص كان وليس إلي فقط! والآن اتبعني.

ذهب الثلاثة إلى قاعة الدراسة. وبعد أن أذن "ڤولوديا" لتلميذه بالجلوس قال:

- نبدأ حديثنا عن طبيعة الفن. لا يخفى أنك مبدع غير أن هذه الصفة تصبح عيبا عندما تجهل طريقة استخدامها. إن كل فنان ممكن أن يكون شاذا أو متمردا وأنا واحد منهم. أما إذا أردت أن تتعاطف معي فاعلم أني أكبرك بعشرين عاما من الخبرة وأنك ستظل دائما في المركز الثاني.

وقفت "لوريان" تستمع وقد صعقتها الدهشة إذ اكتشفت "ڤولوديا" آخر كانت تجهله حتى الآن.

استطرد المعلم:

- والآن أتمنى أن تعزف لي مقطوعاتك لـ"شوبير".

liilas.com

استراح الشاب لانتهاء هذه المواعظ. أسرع بأخذ الكمان. حينما أسرعت "لوريان" إلى الممر لتحضر أكبر عدد من الطلبة.

وفي دقائق كان الشبان قد أخذوا أماكنهم بهدوء في القاعة. ولما انتهى "چيل" من العزف نهض "ڤولوديا" وأمسك بالكمان. قائلا:

- لقد أجدت. إنك موهوب وفي إمكانك الوصول إلى التفوق. لكن هذا الأمر يصعب بلوغك له بسبب عاداتك السيئة. والآن سأريك كيف ينبغي أن تعزف لـ"شوبير".

فجأة لمح "ڤولوديا" جموع الطلاب أمامه فألقى نظرة إدانة إلى "لوريان".

- ألم تقل إنك سوف تعطي طلاب القرية دروسا. يؤسفني ألا ينتفع الجميع من الدرس الذي تعطي "چيل" إياه.

اضطرت "لوريان" إلى احتمال نظرة "ڤولوديا" الملحة الطويلة.

بعد ذلك ابتسم "ڤولوديا" وأخذ ينقل بصره من طالب إلى آخر من الحاضرين. ثم كرر:

- إذن سأريكم كيف نعزف لـ"شوبير".

ولما بدأت أنغام الكمان - وهو بين يدي "ڤولوديا" - ترتفع في القاعة، لمحت "لوريان" اختفاء علامات الحقد من ملامح "چيل" ليحل محلها الإعجاب الصريح. وبعد دقائق كان الشاب، قد أخذ بسحر النغم الشجي وقد استند إلى منضدته ولم تبرح عيناه أنامل الفنان الطويلة الواثقة.

ظل "ڤولوديا" يعزف طوال ساعتين ونصف ساعة متوالية منتقلا من الموسيقى الكلاسيكية إلى الألحان المعاصرة حتى يلهي مستمعيه. ثم مالبث أن أعلن أنه متعب. وخرج الطلاب مبهورين مشتاقين إلى درس جديد.

ولما تواجدا على انفراد سأل "ڤولوديا" "لوريان":

- تقومين بذلك يوميا؟

ابتسمت قائلة:

- أنا لا أقوم بمثل هذا المجهود. لكن يا "ڤولوديا" اعترف الآن أن هذا العمل قد أعجبك.

- أوقعتني في الفخ. فكان علي أن أتصرف.

- أنا لم أوقعك في الفخ. أنت الذي أوقعت نفسك فيه بإرادتك وحدك...

لقد كنت ثائرا بعد الحديث مع "چيل" إلى درجة أنك لم تكن تعلم ماذا تقول.

أجابها:

- أخطأت يا "لوريان". "ڤولوديا سيرچين" لا يثور أبدا.

- إذن لماذا كان أنفك أبيض؟

قال مبتسما:

- لقد: إني كنت أعاني ضيقا خفيفا، هيا! تعالي نرى ثمرات التفاح التي تضاعف حجمها بعد زيارتك الأخيرة.

كفت "لوريان" عن الابتسام لأنها كانت تعلم أنها لن تستطيع الاستمرار في مقاومته إذا تواجدت بمفردها معه.

ولما رآها صامتة قال:

- إلا إذا كنت لا تشائين التواجد مع فنان مسن!

قالت:

- "چيل" جذاب. أليس كذلك؟

- أفهم ذلك. لقد مررت من هذا الطريق أنا أيضا. ليس من السهل أن يكون الفنان مولعا بالموسيقى الكلاسيكية وفي الوقت ذاته يكون نجما لامعا لترتمي تحت قدميه الفتيات.

- "چيل" له مشاكل مرحلة عمره وفي احتياج إلى من يفهمه ووجب أن

liilas.com
قمر الليل

أقتنع أنه لا يعمل شيئا ليصل إلى أهدافه.

أردفت "لوريان":

- إني سعيدة لأنك اكتشفت حساسيته المختفية وراء تصرفاته المتمردة.

قال:

- هيا نرى التفاح.

- لا. ليس الآن ربما نراه مرة أخرى.

- أرأيت كيف استطعت تفهم "چيل"؟ إن التي والحاني لا تسمحان لي بالبقاء مع الزوجة التي أتمناها!

عبر "ڤولوديا" القاعة ولما وصل إلى الباب رمقها بنظرة استعطاف غير أنها جمعت كل قواها حتى لا تجري نحوه.

ثم شرحت له:

- - يلزمني بعض الوقت للتفكير حتى أكون واثقة بقراري.

- سأنتظر يا جميلتي "لوريان".

قالت وهي تخفض عينيها:

- على كل حال مرحبا بك هنا يا "ڤولوديا". عد لإعطاء درس آخر عندما ترغب في ذلك. وأتمنى أن يكون ذلك قريبا جدا.

- سوف نرى ذلك...

ثم اختفى.

ولما وجدت نفسها بمفردها ارتمت على مقعد مرتجفة من الإحساس بالوحدة. وما هي إلا لحظات وها هو العم "چيل" قد ظهر مبتسما لما رأى وجه ابنة أخيه الوردي وعينيها اللامعتين.

قال:

- إن أستاذك "ڤولوديا سيرچين" جذاب والجميع في القرية قد

أحبوا به.

ثم قالت "لوريان" حالمة:

- أستاذي "ڤولوديا سيرچين".

قال:

- أخيرا أقنعته بالاهتمام بطلابنا.. سيكون موسمنا هذا العام رائعا جدا. ومن يدري ربما يقبل الاشتراك في الحفل.

أجابته:

- من غير مناقشة يا عمي لن أفاتحه في الأمر ثانية. أن تجبر "ڤولوديا" على القيام بعمل أمر مستحيل وأعتقد أنه من الأفضل أن تفكر في غيره من الآن.

- لا! بل أفضل الانتظار. ألا ترين أنه أمر غريب أن يختار السيد "سيرچين" الإقامة بالقرب من هنا. كان في إمكانه اختيار مزرعته في "ڤيرچون" أو الله يعلم أين!

- أمر عجيب في الواقع! لكن كل ما يهم "ڤولوديا" قد تم.. كانت "لوريان" تتساءل: هل اعتزم في أعماقه العودة إلى الارتباط بالموسيقى؟ كان يقول: إنه سقط في الفخ لكن في الحقيقة ألم يدخل فيه بإرادته؟

ثم تنهدت قائلة:

- كل الأمور معقدة معه.

أجابها العم "چيل":

- إطلاقا! لا تعتقدي ذلك. دعي الأمور تأخذ مجراها الطبيعي.

قالت:

- إن مع "ڤولوديا سيرچين" لا تجد الأمور مجرى طبيعيا.

liilas.com
وما ليل

الفصل السادس

وفي الليلة التي تلت زيارة "ڤولوديا" لفصل "لوريان" ظلت هذه الأخيرة تبحث طوال ساعات عديدة عن النعاس فلم تجده. وكانت تعمل جاهدة على استعادة أحداث الأيام السابقة في ذهنها لعلها تصل إلى معرفة سبب تأثير هذا الرجل عليها والذي لا تقدر على مقاومته.

ومهما تتبعت أحد الأسباب كانت تعود إلى نفس النقطة ألا وهي أن الحياة السعيدة التي كانت تعيشها منذ أربع سنوات أصبحت الآن تبدو لها مملة، كئيبة.

كان يأتيها من الخارج صوت خرير مياه النهر، حفيف أغصان الأشجار التي يحركها الهواء.. أو صرخة طائر من حين إلى آخر تخترق سكون الليل. "ڤولوديا"..... "ڤولوديا" دائما! لماذا؟ كان قد أتى إلى القرية كان قد تكلم عن الحب.. ثم ماذا بعد ذلك.. كانت تلزمه عدة أسابيع ليعود للظهور مرة أخرى. إذن لم يكن حبه عميقا لذا وجب عليه أن

تشغل به.

تقلبت "لوريان" مرة أخرى في فراشها وكان ضيقها يزداد أكثر فأكثر من جراء أفكارها هذه.

قالت بصوت مرتفع.

- توقفي! أتعتقدين أن "ڤولوديا" لا ينام هادئا في هذه الساعة؟

استيقظت "لوريان" في صباح اليوم التالي منهكة وهي لا تدري ما الذي شدها هكذا من أحلامها. أطلقت أنات مؤثرة ثم دفنت رأسها تحت وسادتها.

وفجأة نهضت وانتصبت واقفة على سريرها: كانت تسمع صوت المعلن. هل تجاوزت ميعادها في النوم؟

وهل تلاميذها ينتظرونها في فصلها ويقضون الوقت في التدريب؟

نظرت "لوريان" إلى ساعتها ثم ارتمت ثانية على الوسادة إذ لم تبلغ الساعة السابعة بعد. ترى أي طالب يجرؤ على إيقاظ كل المنزل مبكرا هكذا؟ إنه بلا شك "جيل" أنصتت "لوريان" جيدا. لا مستحيل! ليس "جيل" لأنه ليس من الممكن أن يكون هو الذي يعزف بهذه المرونة المتنوعة لـ "باجنيني" وفي طرفة عين كانت الفتاة واقفة. إنه "ڤولوديا": لقد عاد!

اغتسلت "لوريان" بسرعة وضمت شعرها بشريط وارتدت فستانا من القطن الأبيض وتزينت بقليل من المساحيق. لقد جذبها صوت أنغام الكمان كما يجذب صوت الصفارات الملاح الذي يقود السفينة! أخيرا وضعت حذاءها ونزلت السلالم على عجل. ولما وصلت إلى الفصل توقفت قليلا ثم أدارت المقبض.

لم يسمح "ڤولوديا" وجودها. كان جالسا بالقرب من النافذة المفتوحة ويدان جراب الآلة فارغا تحت قدميه. وكان مستغرقا في العزف.

liilas.com
قصر الليل

وقفت "لوريان" بلا حراك تراقبه. أخذت الفتاة لمظهره: مظهر رجل ناضج، واثق بنفسه ولا يخشى أن يظهر عواطفه ومشاعره.

كانت التجارب المؤلمة التي اجتازها في حياته قد تركت بصماتها على جبينه. بينما كان الابتسام وحب الحياة قد تركا أثرا في زوايا عينيه وشفتيه. وقفت "لوريان" متأثرة تنظر إليه بحنان بالغ. وفي هذه الأثناء رفع "ڤولوديا" رأسه.

قال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة:

- صباح الخير يا "لوريان".

أجابته وهي تتجه للقائه:

- صباح الخير يا "ڤولوديا". لقد دهشت عندما وجدتك هنا مبكرا هكذا وعليك الكثير من الأعمال لإنجازها بالنسبة للمزرعة. أتعلم كم الساعة الآن؟

- هل أيقظتك أيتها الكسلة الصغيرة؟

ثم أضاف بنبرة ماكرة:

- كنت أعزف بأعلى ما يمكن. غير أني كنت أجهل إذا كان نومك عميقا أم لا لأن لدي أشياء كثيرة أريد معرفتها منك.

- غير أنه لم يكن في استطاعتك معرفة أن حجرتي تعلو هذه القاعة

- ألم أشرح لك يا "لوريان" الوديعة أنه في استطاعتي الإحساس بمكان تواجدك.

قالت ضاحكة:

- لدي إحساس أن عندك جيشا من الجواسيس يقومون بنقل المعلومات إليك.

أجاب "ڤولوديا":

- بالضبط! إذ إن الجميع في القرية قد أبدوا لي كل المودة والمؤازرة

خاصة عمك "چيل".

قالت الفتاة:

- هذا لا يدهشني، لكن أخبرني لماذا أتيت إلى هنا مبكرا هكذا؟

أخذ "ڤولوديا" الكمان وبدأ يعزف مقطوعة هزت مشاعر "لوريان".

قال:

- لاحظت بالأمس أن سماعة هذه القاعة أفضل من تلك التي عندي فأردت أن أقوم بتجربتها!

قالت بنبرة شك:

- حقا؟!

- لما مللت العزف على نفس الآلة وفي نفس المكان ونفس المقطوعات وجدت أن في هذه الحالة يلزمني التغيير لذلك رأيت أنه من المفيد أن أعزف عندك.

واستمر في العزف مدة ثوان. ثم استطرد:

- في الحقيقة لأني لم أجد النوم!

- حقا ولماذا؟

- لا أدري بالضبط. هل تعرفين قصة الفراشة والفراشة آكلة البرغش؟

أجابته:

- لا أعرفها جيدا إنما أعلم أنك مشتاق إلى سردها.

قال:

- كان ذات مرة توجد فراشة طموح ولم يكن لديها عمل إلا العزف للمزارع كما قد يكون على الكمان. وذات يوم وقعت في حب فراشة أخرى وديعة تدعي أنها تعرف الحياة أكثر منها.. وقد خاب أمل الفراشة الأولى لما رأت أن الفراشة آكلة البرغش تتفوق عليها.

قالت الفتاة:

liilas.com
قمر الليل

- إن هذه القصة لا تهدف إلى شيء. ما المقصود بها؟ وما الدرس المستفاد منها؟

- إن خلاصتها هي أنه إذا كانت الفراشة المحبة وجدت الوقت الكافي للبقاء بالقرب من الفراشة الأخرى الجميلة لانتهت باكتشاف سر الحياة. وبمحض إرادتها كانت ستشاركها حياتها!!

جاء تعليق "لوريان" بنبرة ساخرة:

- قصة رائعة! أتعلم أنه كان من المفروض أن تكتب قصصا.

أجابها وقد أراد مشاركتها اللعبة:

- شكرا!

ثم عاد إلى الجدية ليقول:

- أتودين الاشتراك معي في العزف على آلتك يا "لوريان"؟

أحست الفتاة بالدم يتجمد في عروقها عند سماع هذه الفكرة. ثم تمتمت:

- بل أفضل أن أسمعك وأنت تعزف.

- لكني أرى أنه سيكون ممتعا أن نشترك في العزف.

- نعم... لا.. إنني حقا لا أستطيع.

- لا تخشي "ڤولوديا سيرچين". إننا متعادلان يا "لوريان" الوديعة.

- سوف أفكر في هذا الأمر!

- فكري.. غير أنه وجب أن تعلمي أنه إن عاجلا أو آجلا فسوف نشترك في العزف.. قريبا يا "لوريان".

وبعد أن ألقى إلى الفتاة نظرة تعبر عن الوعود أخذ الكمان وبدأ يعزف مقطوعة لـ"پاجنيني".

كانت "لوريان" تستمع إليه مختلجة ولا يصل تفكيرها إلى تحديد إذا كانت كلمة "قريبا" يقصد بها العزف الثنائي أم لقاءات لهو. على أي حال

استلت عذوبة الموسيقى أن نقلتها إلى حالة أخرى.

وضعت ذقنها بين يديها. كانت تراقبه مفتونة به. أما هو فكان يلقي إليها نظرات حارة وهو يحرك قوسه بمرونة.

كانت الفتاة تشعر أنها مندمجة بروحها وبكل كيانها ووجدانها في سحر الموسيقى. كان يخيل إليها أنها وهذا الفنان القدير أصبحا كيانا واحدا وأن أنغام الكمان تترجم أناتها التي تخفيها.

وضع "ڤولوديا" الكمان واقترب منها وأحاطها بذراعيه وعندما أوشك أن يقبلها فتح الباب. ارتبك.. كلاهما. وكادا يسقطان على الأرض.

لما نظرت "لوريان" إلى الباب صاحت:

- "چيل"!

ارتبك الشاب لما رآهما وتراجع. ثم تمتم:

- آه المعذرة! لقد أزعجتكما. لكني سمعت صوت عزف فعلمت في الحال أنه أنت وليس غيرك وأردت أن أوجه إليك سؤالا.

وما لمح ذراعه ملتفا حول جسدها أحس بالحرج فاستطرد:

- أرى أنه من المفروض أن أحضر فيما بعد.

نظر "ڤولوديا" إلى "لوريان" ثم قال لها:

- لا تنصرفي. إن ما كنت سأقوم به الآن سأنفذه فيما بعد. ربما عشي؟ أي وقت يناسبك؟ ومتى تجدين وقت فراغ لذلك؟

- ولماذا لا نبقى هنا إلى أن أجد هذا الوقت؟ سأحضر إلى المزرعة بعد أن يكون "أوركسترا" الطلاب قد أتم التدريب.

أجاب "ڤولوديا":

- سيبدو لي اليوم بلا نهاية.. ثم توجه إلى الشاب مستفسرا:

- عم كنت تريد أن تسألني؟

وجد "چيل" صعوبة في الرد، إذ كان قد نسي هدف زيارته للفنان

11las.com
قمر الليل

القدير وأخذ يفكر في أنه على المراهقين أن يكونوا شيئا آخر وألا يكونوا آلات لتخزين العلم فقط. وأن في استطاعتهم إثبات وجودهم والتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم. وأخيرا أجاب:

- لقد أتيت لأني أريد طلب إرشادك إذ إني لا أعلم لماذا لا أستطيع عزف اللحن الذي أشعر به.

أجابه "ڤولوديا":

- في استطاعتك أن تعزف كما تشاء.

دهشت "لوريان" لهذه الكلمات.

أما هو فأكمل:

- غير أن المستمعين سيحكمون عليك أنك موسيقار رديء. لأن الفنان الذي يريد العزف لكبار الموسيقيين عليه اتباع أسس مدروسة. وكلما زاد تواضع هذا الفنان تبلورت شخصيته وازداد علمه وبالتالي شهرته.. أما إذا أردت التعبير عن مشاعرك الشخصية فما عليك إلا وضع لحن بنفسك.

قال "چيل":

- وهذا ما قمت بتنفيذه.

اقترح "ڤولوديا":

- ما رأيك أن تسمعني إياه؟ هل لديك مانع؟

ولما أمسك "چيل" بالكمان استراح "ڤولوديا" في مقعده وأغمض عينيه. كان اللحن الذي أعده نابعا من داخله معبرا عن حياة مأسوية وكان معبرا إلى درجة جعلت عيني "لوريان" تدمعان لذا فضلت ترك القاعة.

كان اليوم يبدو طويلا وكأنه لن ينتهي وكان "ڤولوديا" برفقة "لوريان" طوال الوقت تقريبا. كانت الفتاة تتمنى أن تنتهي فترة الدراسة. وكانت

سيورة المزرعة تساورها بانتظام. كما أنها كانت تنتظر بفارغ الصبر العود الذي ستعود إليها فيه.. وفي بداية فترة ما بعد الظهر تواجد الفتية الطلبة للبروفة العامة.

كان "ڤولوديا" جالسا بالقرب من "لوريان" يراقب العم "چيل" وهو يقوم بتعديل بعض التنافر في الأصوات.

وبعد بضع دقائق عادت جموع الطلاب إلى الهدوء ثم استأنفت العمل بسرعة كل يعزف ولكن في غير انسجام.

سأل "ڤولوديا":

- متى سيقام الحفل؟

- في نهاية أغسطس.

- أتعتقدين أنهم سيكونون مستعدين؟

- ينبغي عليهم أن يكونوا...

دامت البروفة ساعتين. ولما لحق العم "چيل" بـ"لوريان" و"ڤولوديا"، كان وهو يرتمي في مقعده:

- في كل عام يأتي أولئك الشبان بمزيد من الحماس وأعتقد أن سني لا تساعدني الآن على القيام بهذا النوع من الرياضة أي القيام بدور الليسترو.

- هل في إمكانك القيام به يا "ڤولوديا".

- لقد قمت بهذا الدور مرة أو مرتين في حياتي غير أني أعتقد أنه لن يمكنني مواجهة مثل هذه الزمرة.. لكن قل لي يا سيد "چيل" هل حقا ليس لديكم عازف "ناي"؟ إن الـ"أوركسترا" يبدو ناقصا تماما بدون هذه الآلة.

جفف "چيل" جبينه بمنديل مخطط على شكل مربعات قبل أن يجيب:

- لقد سعدت لقولك هذا. لأنني و"لوريان" كنا منذ فترة قصيرة نتكلم

lnlas.com
قمـــر النيل

عن هذا الأمر.. في الحقيقة هناك فتاة في "نيوجيرسي" تود الانضمام إلينا غير أنه ينقصنا الوسائل اللازمة حتى نقدم لها تذكرة السفر نتعشم أن يأتينا حفل هذا العام بعائد أوفر من العام الماضي لكي نستطيع مكافأة المستحقين.

كان يشرح الموقف لـ"ڤولوديا" ويتحاشى نظرات "لوريان".

كانت الفتاة تشعر بـ"ڤولوديا" وقد تجمد إلى جانبها في مقعده. شد ذراعيه وثبت نظره في الأفق.. وفي هذا السكون الذي كان يسود الاستوديو كان على "لوريان" أن تسيطر على نفسها حتى لا تسب عمها.

استطرد الرجل الكبير:

- هكذا تسير الحياة.

سأله "ڤولوديا":

- أتقبل منحا شخصية؟

أجاب العم "چيل":

- بالتأكيد ! لكن بعيدا عن أن أطالبك بأي مبلغ.

قال "ڤولوديا":

أعتقد أننا أصبحنا الآن متفاهمين. ويسعدني أن أقدم قيمة التذكرة لعازفة "الناي" وهكذا يصفو ذهني. والآن هل عندك استعداد يا "لوريان" للمجيء معي لمشاهدة التفاح؟

حكت الفتاة رأسها وأمسكت بيد "ڤولوديا" التي كان يمدها لها. وقد وصلا إلى الباب التفت وسأل "چيل":

- هل ستقيمون الحفل هنا؟

- لا! المكان هنا محدود جدا. وسوف نستأجر المركز الفني في "سانتاروزا". وهذا أفضل.

هز "ڤولوديا" رأسه إذ يبدو أنه يعرف القاعة المشار إليها:

- لماذا توجه لي هذا السؤال؟

- مجرد حب استطلاع.

وقبل أن يختفي وجه "ڤولوديا" إشارة تحية بيده إلى "چيل" الذي أجابه بمثلها.

ظل العم "چيل" في مقعده وقد بدت عليه ملامح السرور.

وبينما كانا يخترقان ممرات المركز تأكدت "لوريان" من أن "ڤولوديا" متحمس لحفل نهاية الصيف وإن كان لا يريد أن يظهر هذا الإحساس.

liilas.com
قمر الليل

الفصل السابع

وضع "ڤولوديا" سيارته أمام الجراج الملحق بمبنى المزرعة الرئيسي ثم نزل ليفتح باب السيارة لـ"لوريان".

قالت الفتاة وقد بدت عصبية بعض الشيء:

- المنزل يبدو قفرا. كأن لا أحد يسكنه.

قال مبتسما:

- إنها حقيقة. "چورچ" مازال في الـ"أريزونا" ولا يوجد الآن إلا أنت وأنا.

ولما خرجت "لوريان" من السيارة أحست بيدين قويتين تضمانها وقد يلمس شفتيها. اقشعر جسمها من الرأس إلى القدمين. واعتراها قلق بالنسبة إلى ما كان ينبغي عليها أن تتبعه. كان عليها أن تتقبل حب هذا الرجل أما هو فبادرها بقوله وهو ينظر في عينيها وكأنه يقرأ أفكارها:

- لا تخافي يا جميلتي "لوريان". إنني أحبك من أعماقي ولا أقصد

الإساءة إليك.

قالت "لوريان":

- كان ينبغي عليك أن تتأكد من رد الفعل عندي قبل أن تأتي للقائي في هذا الصباح.

رد:

- أنا لم أكن متأكدا من شيء. إن موهبتك في الانسحاب تمثل جزءا من سحرك.

سألت:

- أين نذهب الآن؟

أجابها:

- قبل كل شيء نقوم بزيارة تفاحتنا.

اقتادها "ڤولوديا" نحو البستان. وكانت سيقانهما تتخطى الحشائش الكثيرة التي كانت تهرب منها أسراب الفراشات الزرقاوات.

ثم قال لها بنبرة جادة:

- أنا أبغي إسعادك ولا أعمل أبدا على مضايقتك. لأنه إذا انتظر اثنان طويلا ففي استطاعتهما أن ينتظرا قليلا.

قالت وقد علت الحمرة وجهها:

- شكرا يا "ڤولوديا".

- لقد تعلمت درسا من النحلة التي رأيناها المرة الماضية: أن التعجل لا يفيد شيئا.

قالت الفتاة:

- يبدو أنك تركز على الحشرات: نحلة وفراشة، نوع آخر من الفراش.

- يبدو فعلا. لكن الحشرات هي ملح الأرض. وبدونها ما وجدت الزهور ولا الفاكهة. إنها قادرة على عمل المعجزات رغم ضآلة حجمها.

liilas.com
قمر الليل

وها هما الآن تحت مظلة شجرة التفاح.

بدأت "لوريان" تشعر أنها محتاجة إلى البقاء بالقرب منه وقد اكتشفت أنها تتمتع بمشاعر امرأة.

قالت:

- هل أنت متأكد من أنك تريد رؤية تفاحتنا الآن؟

- إن تفاحتنا هذه يا "لوريان" ترمز إلى حبنا لذا وجب علينا متابعتها في نموها وجمالها ونضجها.

قالت الفتاة وهي تنظر إليه بعينين تسبحان في بحر من الدموع:

- كم هي جميلة!

ثم أضافت وهي تنتحب:

- أحبك يا "ڤولوديا"!

- آه! أحبك للغاية يا حبي.

قبلها "ڤولوديا" وفجأة ارتجفت "لوريان" عندما شعرت بريح تحرك أغصان الأشجار.

غير أنها لم تتأكد إذا كانت هذه الحركة نتيجة ظاهرة طبيعية أو راجعة إلى الزوبعة التي تجعل قلبها ينقبض من حين لآخر.

استطرد "ڤولوديا" ثانية:

- ينبغي علينا أن نذهب لنرى تفاحتنا. على الأقل لكي نشكرها لأنها جمعتنا.

ساد فصل الصيف وكانت مياه الجدول قد قلت غير أن خرير المياه كان مستمرا في الغناء على الصخور.

تمتمت "لوريان":

- تفاحتك رائعة!

قال مصححا:

- تفاحتنا. تفاحة حبنا.

ولم تقدر الفتاة على مقاومة الرغبة في لمسها. ولما أطالت وضع أصابعها على الثمرة منعها "ڤولوديا".

قائلا:

- دعيها إنها رقيقة. أعطيها فرصتها في النمو حتى تعجبي بها فيما بعد.

- لن يلحقها أي ضرر. أليس كذلك؟

قال:

- من يدري ما يخبئه لها المستقبل؟ وجب علينا أن نستفيد من اللحظة التي نحياها وأن نتمنى أن تدوم.

ثم ترك الغصن يرتفع وهو يراقب التفاحة الصغيرة... هيا بنا نعود. ما رأيك في تجربة السونا؟ أراك مشدودة وأعتقد أن هذا سوف يفيدك. إلا إذا كنت تفضلين قليلا من شراب التوت الذي أعده.

صاحت "لوريان":

- لا بتاتا. كل شيء ماعدا هذا. أعتقد أن السونا أفضل.

ثبت "ڤولوديا" النظر فيها ثم قال:

- رائع! قد اتفقنا. فقط لا تذمي مشروب التوت الذي أعده. والآن استرقي أن تأثيري عليك كان قويا إلى درجة أنك كنت لا تعلمين ما

liilas.com
قمر الليل

تعملين.

- خطأ!

- أنا لا أصدقك.

- لقد كنت جريئا .. وكرهتك وقتئذ.

ضحك "ڤولوديا":

- بدوري أقول لك خطأ. أنا كنت أخيفك فقط وهذه حقيقة.

- في الحقيقة كنت أرتعب. لكن لماذا كنت تتصرف هكذا؟

- وماذا أعمل بخلاف هذا؟ شعرت أن لي تأثيرا عليك. اعترفي! فما كان مني إلا أن أداعبك مثل القط عندما يمسك بفأر. على أي حال كان هذا يزيد سروري.

ضحكت "لوريان" وقالت:

- أعتقد يا "ڤولوديا" أني لم أتقابل من قبل مع كائن رذيل مثلك ولسوء حظي أنك لا تقاوم.

سألها ثانية:

- وبعد؟ أتجربين السونا؟

وصلا إلى المنزل الخشبي الصغير الذي كان ينبعث منه دخان خفيف أزرق. فتح "ڤولوديا" الباب ودعاها للدخول أولا.

لمحت "لوريان" مقعدا ريفيا موضوعا بطول الحائط ودولابا معدنيا به برانس ومناشف حمام.. وكان البخار يحدد إطار باب عجيب.. فتحت "لوريان" باب "السونا". خلعت ملابسها وشعرت في الحال بحرارة تحتويها. كانت الغرفة الصغيرة المغطاة كلها بالخشب لا تحتوي إلا

على مقعدين وحوض ماء به ملعقة كبيرة... رأت "لوريان" البخار يتصاعد بكثرة ثم بعد فترة أخذت إحدى المناشف، لفتها حولها وجلست على مقعد. ولما انتهت خرجت وكان "ڤولوديا" في انتظارها.

بادرته مرتبكة بعض الشيء:

- أنت ساحر يا "ڤولوديا" لم أتمتع بمثل هذه الحيوية من قبل.

أجابها:

- لست أنا الذي يُلقب بالساحر. إنه أنت التي أعتبرك قدري ولن أحب سواك ما حييت.

ثم طبع على جبينها قبلة حارة.

وها هي "لوريان" لم تعد تميز الآن سبب انتعاشها: أهو تأثير البخار أم سحر "ڤولوديا"؟ قبلته هي أيضا.

قال:

- أحبك يا "لوريان" وأشتاق دائما إليك. وأنت؟

- وأنا أيضا يا "ڤولوديا".

كان "ڤولوديا" يهمس بكلمات بلهجة "فنلندية" من حين إلى آخر في أذن الفتاة. وهذه الأخيرة كانت - وإن لم تكن تفهم لها معنى إذ إنها لا تعرف هذه اللهجة - تشعر بالسعادة واثقة بأنها كلمات إعجاب وتعبير صادق عن مشاعر حبه العميق لها.

بلغ انسجام "ڤولوديا" و"لوريان" حدا يشبه تناسق أنغام آلتين ذواتي أوتار..

أجابته:

liilas.com
قمر الليل

– أحبك يا حبي وإن كنت لا أفهم الفنلندية .

قال مبتسما:

– غير أني واثق بأنك تفهمين جيدا معناها يا جميلتي.

– ربما! لكني أريد حفظ كل كلمة لكي أستطيع ترديدها والاحتفاظ بها في قلبي مثل الكنوز. أرجوك كررها لي.

– لم أكن أردد سوى: "أحبك يا "لوريان" وأحبك أكثر من أكون جديرا بذلك".

قبلت "لوريان" كفه قائلة:

– أنا أيضا أحبك يا "ڤولوديا" إلى حد الموت.

اعترف "ڤولوديا" والدموع تملأ عينيه:

– ما كنت أصدق أن مثل هذا الحب يكون ممكنا بيننا. ولن أنسى اللحظات التي أقضيها معك.

في المساء افترشا الأرض وأخذا يتسامران حتى تلألأت النجوم في السماء. ثم نزلا إلى حمام السباحة لينتعشا بمائه.

قضت "لوريان" الليلة في المزرعة.. وقبل أن تنام على كتف "ڤولوديا" شكرت الله على منحه إياها هذه السعادة.

ولما استيقظت "لوريان" في منتصف الليل كانت لا تدري أين هي. ولما أفاقت تماما مدت ذراعها وكم دهشت لما عرفت أنه تركها.

جلست "لوريان" في سريرها، ثم نهضت لتضيء النور. ألقت بالغطاء وارتدت برنسا كان ملقى على كرسي. ثم نزلت السلم متجهة إلى الصالون.

وبدون تفكير دخلت قاعة الموسيقى إذ كانت تتوقع أنها ستجد "ڤولوديا". ولم تخطئ. كان جالسا في مقعد وكانت ساقاها تظهران من "كيمونو" قصير أسود. وكان يحرك قوس الكمان بين أنامله. وقفت جامدة بضع ثوان وأخيرا قررت الاقتراب منه. جلست القرفصاء بالقرب منه ووضعت يدها على كتفه في حنان. ثم سألته في هدوء:

– فيم تفكر يا حبي؟

ابتسم "ڤولوديا" ثم تخلص من القوس الذي كان بيده لكي يضعها في شعرها الحالك السواد الرائع.

قالت بنبرة مرحة:

– لست أدري لماذا حتى الآن لم يتقدم أحد الزارعين بطلب يدي؟

أجابها:

– ها هو الآن يقوم أحدهم بذلك. هل ترضيك هذه الحياة الهادئة؟

كانت "لوريان" تصرخ "نعم" لكنها أمسكت نفسها عن الكلام. ترى هل ستكون سعيدة في مزرعة؟ حتى الآن كانت حياتها مكرسة لدنيا الفن والموسيقى.

أجابت:

– السؤال الحقيقي هو: هل "ڤولوديا سيرچين" سيجد سعادته في الاهتمام بزراعة التفاح؟

أجاب:

– إني أحبك وبالتالي لست مخيرا.

– لا أفهم قصدك.

lilas.com
قمر الليل

- أخبريني يا "لوريان" العزيزة: كيف أختار بين قلبي وروحي؟

- لا أستطيع يا "ڤولوديا" إذ يبدو لي أن الرجل يلزمه الاثنان.

ختم "ڤولوديا" كلامه:

- ها نحن الآن قد أصبحنا عاقلين جدا.

ثم قبلها وبعد قليل امتلأت القاعة بموسيقى لم تسمعها من قبل.

liilas.com

الفصل الثامن

في الأيام التالية كانت "لوريان" تشعر أنها في حلم. كانت تقضي فترة الصباح في القرية الموسيقية بصحبة "ڤولوديا" والأمسيات كانا يقضيانها في المزرعة. وكانت يوما فيوما تزداد رغبة كل منهما في معرفة الآخر إذ إن المستقبل قد اختفى.

كانت "لوريان" تسر لرؤية "ڤولوديا" مهتما بالدروس. كان يصل مبكرا ليعزف ثم يساعدها في التعليم. لقد سحره تقدم الـ"أوركسترا" إذ بفضل تأثيره على الطلاب كان "ڤولوديا" يجعل الدروس شيقة إلى درجة تدفع الطلاب إلى طلب المزيد من العزف منه. وكان من الصعب وضع نهاية للدرس.

وذات صباح عندما أظهر الشبان حماسا أكثر من المعتاد. صاح "ڤولوديا" قائلا:

- أتريدون أن تقتلوني؟!

- من فضلك اعزف لنا قليلا.

أجاب:

- موافق، لكن بشرط: أن توافق "لوريان" أن تشترك معي في العزف على الكمنجة الكبيرة.

لما لم تشأ "لوريان" الظهور معه أمام الطلاب لسبب أو آخر، قالت:

- لا يا "ڤولوديا".

كانت "لوريان" تشعر أنها ربما تعجز عن القيام بعزف أبسط نوتة أمام هذا الفنان العبقري.

سألها:

- لماذا لا تسعدينا بانضمامك لي؟ إن خبرتك ومرونتك كافيتان. وكل هؤلاء الشبان سبق لهم أن استمعوا إلى عزفك. إذن مم تخافين؟

تمتمت "لوريان":

- لكن...

في الحقيقة كان يحدث كثيرا أن تأخذ آلتها أمام طلابها للقيام بعزف مقطوعة من الألحان. لكن هذا لا يعني أن تقوم بعزف ثنائي مع "ڤولوديا".

هزت رأسها وقالت:

- إنهم يتمنون سماعك يا "ڤولوديا". ولا حيلة لي في ذلك!

تعالت صيحات الطلاب لأنهم فعلا كانوا يريدون سماعهما معا.

فهمت "لوريان" أنه لا مكان للعناد. وأسوأ من ذلك يجب ألا تبدو أمامهم بمثابة مثل سيئ وهم الذين يتأهبون جميعا للمشهد يوم الحفل

ساد السكون القاعة لما اتجهت "لوريان" لتحضر الآلة والقوس.

سألها "ڤولوديا" مبتسما:

- أي مقطوعة تريدين عزفها؟

بسرعة راجعت "لوريان" التقاسيم المختلفة الموجودة على المنضدة.

ثم اقترحت:

- "دوالي"؟ الـ"أليجروسيريوزا".

كانت "لوريان" قد قامت باختيار هذه المقطوعة لأنها تجيد عزفها وتعرف النوتة الخاصة بها عن ظهر قلب كما أنه سبق لها أن عزفتها في مسابقة بالـ"كونسرڤاتوار" مع زميل عازف كمان.

أما "ڤولوديا" فله الخبرة الكافية للقيام بعزف أي مقطوعة.

جلست الفتاة وضمت جونلتها بعناية ثم وضعت الآلة بين ساقيها بينما وضع لها "ڤولوديا" النوتة الخاصة باللحن. ولما انحنى ليفتح لها الصفحة اللازمة همس لها في الأذن عبارة تدل على غيرته من الآلة.

قالت له "لوريان":

- تعقل. نحن هنا للعزف ليس إلا. لا تنس هذا!

كتم "ڤولوديا" ضحكة خفيفة وذهب ليأخذ مكانه في مواجهتها. كانت تنظر إليه وهو يضع الكمان تحت ذقنه ويحرك القوس بأصابعه.

سأل بصوت وديع:

- جاهز! مستعد!

بدأ صوت الكمنجة الكبيرة أولا. وبسرعة انضم له صوت الكمان.

كانت "لوريان" تركز على اللحن حتى لا تخطئ وكانت تبدو كالتلميذة. لم تكن لديها موهبة الإبداع التي يتمتع بها "ڤولوديا" ويدخلها على

liilas.com
قمر الليل

ألحانه فأقسمت في داخلها ألا تتورط في مثل هذا الموقف أبدا. ماذا حدث له إذن؟ كان "ڤولوديا" يغير في اللحن ويتظاهر أنه يقرأ النوتة وكانت "لوريان" تفهم تماما أنه يعمل على وضعها في مأزق. كيف استطاع هذا الفنان المشهور أن يبدو قاسيا هكذا؟

لقد تحولت في نظرها أحاديثه الحارة عن الحب والإخلاص إلى رماد بسبب تصرفاته هذه . فجأة كرر ما قام به غير أنها أدركت هذه المرة وجارته في اللحن. ألقت إليه نظرة غدر وقد اختفت عندها كل مشاعر تقديرها له. سوف يرى: "الأيام بيننا يا سيد "سيرچين".

وقعت "لوريان" فريسة لمشاعرها، وكانت لا تنظر إلى النوتة إنما إلى "ڤولوديا". ولما لمحت أنه قطب حاجبه استنتجت أنه ينوي القيام بالتغيير مرة أخرى غير أنها انتبهت إلى ذلك وأغلق الفخ على فراغ. رفع "ڤولوديا" رأسها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة. ثم ألقى إليها قبلة بشفتيه. في هذه اللحظة فقط فهمت "لوريان" أنها أجادت وأنه لم يكن يقصد وضع صعوبات أمامها بالعكس كان بتصرفاته هذه يدفعها إلى المزيد من الثقة بنفسها.

وانطفأ غضب "لوريان" لما تحققت أن "ڤولوديا" كان يريد أن يتأكد من قدراتها لما طلب منها القيام بهذه التجربة.

ثم عزف الـ"أليجرسيريوزا" في مرونة نادرة. كان العزف على الآلتين يتم في انسجام تام: يتسابقان ... يتلاحقان... يتسابقان ليعودا إلى اتحاد ممتع.

ولما انتهت الموسيقى شعرت "لوريان" بسعادة لم تعرفها من قبل ألقت نظرة لامعة على "ڤولوديا" الذي ابتسم لها بحنان.

وبعد لحظات صمت تعالى التصفيق في القاعة وكان الطلاب يقفون لكي يعبروا بحرارة أكثر عن إعجابهم.

وضع "ڤولوديا" الكمان ووقف أمامهم وطالبهم بالهدوء. ثم قال بكل جدية:

- وجب عليكم اتباع كل إرشادات أستاذتكم. إنها فنانة قديرة. والآن في إمكانكم الانصراف.

ولما خرجوا التفت إلى "لوريان". قائلا:

- كنت أتكلم بصراحة. أنت موهوبة حقا. وتعبرين عن كل نفس وأنت تعلمين ذلك. أليس كذلك يا "لوريان"؟

نظرت إليه لحظة في صمت ثم أجابت:

- لا! لا أعلم. أعتقد أني فقدت الثقة بالطريق.

ظلت "لوريان" جالسة في مقعدها والكمنجة مستقرة إلى جانبها. كانت تحاول تفهم الموقف. ماذا تم؟ ترى ماذا كان رد الفعل عند الطلاب؟ وما الانطباعات التي حصلوا عليها؟ وهل نالوا فائدة لمستقبلهم الفني؟

أتى "ڤولوديا" وجلس القرفصاء بالقرب منها وثبت نظره في عينيها. ثم قال:

- لا! لم تفقدي الثقة، إنها كانت تلازمك يا "لوريان" غير أنها كانت مستظرة اللحظة السانحة لتطفو على السطح من أجل مجد الموسيقى!

أجابته:

- لقد استعدت قوتي لأنك أنت الذي دفعتني إلى ذلك.

ثم أضافت ضاحكة:

- أنت محظوظ إذ إني لم أزعجك منذ قيامك بالتغيير الأول.

liilas.com
قمر الليل

- كانت لي ثقة كبيرة بك ومن أجل ذلك قمت بهذه المخاطرة. إن الماضي هو الماضي يا "لوريان". لقد حان الوقت لكي تتعلمي كيف تعيشين حياة حرة سعيدة.

قالت:

- نعم لقد حان وقت ذلك وسيسهل علي تنفيذه إذا وضعت ثقتك بي ولكن هل في استطاعتك القيام بذلك أنت أيضا؟

مط "ڤولوديا" شفتيه ثم أجابها:

- إن الماضي لا يشكل مشكلتي. ربما يكون المستقبل... ما رأيك إذا قمنا بعمل جولة في المزرعة.

سألته:

- لماذا؟

- تعالي ننظر تفاحتنا. "چورچ" سيصل غدا وإنها آخر ليلة لنا نقضيها معا بمفردنا في حديقة "عدن".

قالت:

- أنت نادر. كيف استطعت جعل الموضوعات السخيفة شيقة إلى هذا الحد؟

قال وهو ينتزع آلتها منها:

- يجب أن تعتادي ذلك من الآن. أخيرا إذا كانت هذه أمنيتك فستجدينني متفقا معك دوما.

- لا داعي للمناقشة. عد كما كنت. أنا لم أجد حديقة "عدن" قبل الآن ولا أريد أن أجدها.

وبعد يومين قام "چورچ ميللر" بزيارة "لوريان" في قرية "بريان

الموسيقى وكان يبدو مسرورا لرؤيتها.

بادرها بقوله:

- يبدو عليك أنك تتمتعين بكامل الصحة يا سيدتي العزيزة.

أجابته:

- وأنت أيضا يا "چورچ". يا لها من زيارة مفاجئة ممتعة! كم أنا سعيدة لمجيئك لترى القرية إن لم يكن لك هدف آخر.

- لا.. لا.. أبدا. كنت أود أن أتنفس قليلا بعيدا عن مزرعة السيد "سيرچين".

قالت الفتاة:

- أريد أن أصدقك!

- يبدو لي أني فهمت أن الخلافات بينك وبين السيد "سيرچين" بدأت تختفي.

- بعض الشيء.

- كنت أشك في ذلك. لقد طرأت تغييرات كثيرة على المزرعة. هل تسمحين لي يا سيدتي العزيزة بزيارة القرية؟

- بشرط أن تترك "سيدتي": هذه الكلمة المزعجة وتكتفي بـ"لوريان".

غمز لها بعينيه. ثم قال:

- سوف أعود لكلمة "سيدتي" عندما تتزوجين السيد "سيرچين".

ولما قال هذا انطلقت الفتاة في الضحك... وبعد أن قام "چورچ" بتفقد القرية بكل فضول... ذهبا للتنزه على شاطئ النهر.

سألته:

- كيف تشارك "ڤولوديا" حياته؟ إن ميولكما مختلفة تماما. اختلاف

liilas.com
قمر الليل

الليل والنهار.

بدأ "چورچ" يشرح لها:

- عندما وصل السيد "سيرچين" إلى هذا البلد كنت أعمل في وكالة متخصصة في المواهب الشابة. كان آتيا من "فنلندا" وكان له من العمر أربعة وعشرون عاما. وكانت شهرته تتبعه. كان لا يبقى له إلا كسب تقدير أمريكا.

قالت:

- والباقي يسرده التاريخ.

- نعم كان نجاحه مؤكدا. كانت العقود تتلاحق عليه وكان حماسه قد وصل إلى الذروة. فكان يقبلها كلها.

قالت معجبة:

- في الواقع إنه عازف بارع.

- نعم. لكن لكي نعود إلى الحديث عن علاقتنا أقول: إنه عندما وصل كان يشعر بالوحدة فأخذته تحت جناحي. ومن هنا نشأت الصداقة بيننا.

قالت:

- إني سعيدة لسماع هذا.

أكمل:

- ولما أصبت بأزمة قلبية منذ بضع سنوات أقنعني السيد "سيرچين" أن أتخلى عن عملي وألا أهتم بمهنته. فكان لي بمثابة الابن الذي لم يكن لي من قبل.

سألته:

- أتعرف أسرته؟ هل له إخوة وأخوات؟

- لا. إنه ابن وحيد. والداه مهاجران من روسيا ومن الشيق جدا أن تستمعي إلى معلومات عنهما. والدته كانت أول راقصة محترفة في فرقة الـ"بولشوي" ووالده كان عازف مزمار. وكم حضرت لهما نزاعات غير أنهما كانا يهدآن بنفس السرعة التي ينفعلان بها.

سألته:

- وهل تعرف أسرة "ڤولوديا" ؟ أنا لا أجد صعوبة في تخيل حالتهم.

- في الواقع إنهم يحبون بعضهم البعض.

- بالتأكيد. وهل عرفت زوجة "ڤولوديا"؟

- نعم تمام المعرفة.

- هل كانت جميلة؟

- "هيلڤي" كانت فنلندية وديعة وخجولا. أما إذا أردت أن أقول لك هل هي جميلة فأمر لا أتحكم فيه. إنها وجهة نظر. في إمكاني أن أريك صورتها إذا شئت.

بحث "چورچ" في محفظته وناول "لوريان" الصورة التي كان يبدو فيها "ڤولوديا" شابا متابطا ذراع فتاة شقراء رائعة الجمال ذات عينين زرقاوين.

شكرت "لوريان" "چورچ" واستمرا في السير على شاطئ النهر. قالت بعد قليل:

- وهل كان يحبها؟

- أنا لا أملك الرد على سؤالك هذا.

- لكن لماذا طلقها؟ هل هو الذي تركها؟

liilas.com
قمر الليل

- آسف أنا لا أستطيع الرد عليك.

ألحت "لوريان":

- يا "چورچ"!

- يكفيك أن أقول لك. إني سعيد للقاء السيد "سيرچين" بك. أما بالنسبة إلى الباقي فتذرعي بالصبر.

- أنت تكلمني مثل عمي "چيل".

- آه! عمك! هل أستطيع مقابلته؟

طمأنته:

- بالتأكيد، تعال، أعتقد أنكما ستتفاهمان جيدا.

ثم اصطحبته نحو القرية.

وبعد قليل وبعد انصراف "چورچ" ذهبت "لوريان" لمقابلة عمها في مكتبه.

صاح عمها:

- أهلا، أهلا يا عزيزتي. يا للمفاجأة. إني لم أرك منذ فترة طويلة.

- لأني مشغولة جدا يا عمي. ترى ماذا قال لك "چورچ"؟

- تكلمنا قليلا عن كل شيء: الموسيقى، القرية، عنك، عن "ڤولوديا".

- وعن الحفلة؟

- وعن الحفلة أيضا.

- يا عمي اترك "ڤولوديا" هادئا مع هذه الحفلة.

- مع أني واثق بأنه بلاشك مشتاق إلى الجمهور. ثم هل أنت متحاملة على الناس المسنين؟ نحن أحيانا نفقد صبرنا.

- ماذا تقصد؟

- أفكر في الانسحاب بعد الانتهاء من هذا الحفل وإن كان هذا الحفل هو الأخير بالنسبة لي وسأكون سعيدا لو اشترك فيه "ڤولوديا".

- لا يا عمي أنت لن تترك القرية. لأنه بدونك لن يكون الحال على ما هو عليه.

- سأستمر قليلا. لكني أتقدم في السن ولا أستطيع الاهتمام بكل شيء. إني محتاج إلى شخص يعاونني. أمن الممكن الاعتماد عليك يا لوريان؟

كانت "لوريان" تعلم أن العم "چيل" يفكر في أن يجعلها تحل محله مدة يوم وأن القرية هي كل حياته، لكن هل هذه المسؤولية تتفق مع حبها لـ"ڤولوديا"؟

استطرد "چيل":

- أعتقد أني أقدر أن أحكم من خلال تقطيب جبينك أنك غير متحمسة لهذا العرض.

قالت الفتاة:

- لأني فوجئت به. ينبغي علي أن أعتاد الفكرة.

ثم اتجهت نحو الباب.

قال لها:

- فكري يا عزيزتي. إن عازفة الـ"الناي" ستصل غدا بعد الظهر إلى مطار "سان فرانسسكو" هل في إمكانك الذهاب لاصطحابها إلى هنا؟

- بالتأكيد. اعتمد علي يا عمي. سأسعد بلقائها.

وفي أثناء مغادرتها للمكتب كانت "لوريان" تفكر فيما إذا كان عمها "چيل" يستطيع الاعتماد عليها في إدارة القرية أم لا. إنها مسؤولية

liilas.com
قمر الليل

ضخمة تحتاج إلى وقت وجهد.

صعدت "لوريان" السلم المؤدي إلى حجرتها. ولما وصلت ودخلت استندت إلى النافذة. وقفت شاردة تراقب الطلاب الذين كانوا يلعبون بالكرة تحت الأشجار.

ومرة أخرى تساءلت: كيف ستستطيع أن توفق بين مسؤوليتها في القرية وحبها لـ"ڤولوديا".

liilas.com

الفصل التاسع

قمر الليل

وقفت "لوريان" بصحبة "ڤولوديا" تنتظر - أمام باب المطار الرحلة رقم أربعمائة وثلاثة وعشرين (٤٢٣). ولما توقفت الطائرة الـ"بوينج" ظنت وهي تنظر من خلف النافذة الزجاجية أنها - وجها لوجه- مع قائد الطائرة. وبعد قليل بدأ الركاب في النزول من الطائرة والاقتراب من الحواجز.

سأل "ڤولوديا":

- كيف ستعرفين عازفة "الناي" هذه؟ ما اسمها؟

- إنها تدعى "جوزيفا دي بروينوف". في الثالثة عشرة من عمرها. شعرها أحمر. ومن البديهي أنها تحمل جرابا به "الناي". وأعتقد أنه لن يوجد كثير من الركاب تنطبق عليهم هذه المواصفات.

في الواقع لم يكن بين الركاب إلا هي. وما هي إلا فترة وجيزة وقد

ظهرت الفتاة ذات الوجه الرقيق الذي يعلوه النمش وخصلات شعرها التي تتموج حوله. وإن كانت لم تقطع أكثر من متر وستين سنتيمترا إلا أنها تكشفت لهما: إن لها قوام ما بين الشابة والطفلة.

تقدمت إليها "لوريان" وقالت:

- "چوزيفا"؟ أنا "لوريان بريان" إنني سعيدة لكونك استطعت الحضور إلى هنا بمفردك. هل قضيت رحلة مريحة؟

أجابت عازفة "الناي" بشيء من التكلف:

- لا أكاد أصدق نفسي أني هنا. للعلم أنا لم أقم برحلة جوية قبل الآن. إنها ممتازة! رائعة!.

قالت هذا وهي تركز على الكلمة الأخيرة.

قالت "لوريان" وقد أعجبت ببشاشة الفتاة:

- لقد ابتهجت لما رأيتك مسرورة. اسمحي لي يا "چوزيفا" أن أقدم لك "ڤولوديا سيرچين".

أمسك "ڤولوديا" بيد "چوزيفا" التي كانت تمدها له ووضع عليها قبلة سريعة.

قالت الفتاة:

- "ڤولوديا سيرچين"! عازف الكمان؟

أجابها "ڤولوديا":

- أني أخشاه.

لمعت عينا "چوزيفا" وقالت:

- إني أعبد عازفي الكمان إلى حد يجعلني شبه مجنونة. رائع!

قال "ڤولوديا" بنبرة حرص على أن تكون جادة:

- إذن أعتقد أنه في هذه الحالة سوف تنسجمين في هذه القرية الموسيقية. لدينا نموذج ممتاز من عازفي الكمان وإنني واثق بأن أحدهم سيعجبك.

صاحت الفتاة بحركة دلال:

- آه! إنه أنت إذن!!

أمسكت "لوريان" بذراع "ڤولوديا" وقادته نحو الباب ملقية إليه نظرة ذات مغزى.

همس "ڤولوديا" في أذن "لوريان":

- أعتقد أن "چيل" سيقضي لحظات صعبة.

ولما وصلوا إلى القرية كانت الساعة السابعة تقريبا. أعدت "لوريان" إقامة لـ"چوزيفا" في شاليه صغير على شاطئ النهر.

ثم شرحت لها:

- لا تدهشي لرؤية هذا الجمع. ستجدين "ساندي" التي تشاركك شاليه. إنها عازفة مزمار.

قالت "چوزيفا":

- رائع!

وفي أثناء مرورهم أمام المبنى الرئيسي فوجئوا بصوت كمان.

وفي الحال أعلن "ڤولوديا":

- إنه "چيل"! لماذا لا يشترك في الحفل مع الآخرين؟

سألت الفتاة:

- من "چيل"؟

أجاب "ڤولوديا":

liilas.com
قمر الليل

- "چيل" شاب لطيف وموهوب.

لمعت عينا "چوزيفا" وهي تنظر تجاه الشاليه الرئيسي.

استطرد "ڤولوديا" وهو يعمل على تجنب نظرات "لوريان":

- وما قولك في أن نذهب لنراه؟

ولما دخلا إلى قاعة الدراسة توقف "چيل" عن العزف في الحال ونظر إليهم وقد تملكه الملل. كان يرتدي شورتا مكرمشا يظهر ساقيه النحيفتين غير أنه يبدو أن "چوزيفا" لم تلتفت إلى مظهره. بالعكس أسرعت بأن تلقي إليه نظرة كفيلة بتدمير أقوى شاب.

قالت "لوريان":

- ها هي "چوزيفا". لقد وصلت لتوها وانضمت لنا.

قالت الفتاة:

- إن أصدقائي ينادونني "چوزي".

أوشك "ڤولوديا" أن يعلق لكنه وقف وفمه مفتوح مكتفيا بتبادل النظرات مع "لوريان".

سألت "چوزيفا":

- ماذا كنت تعزف؟ لم يسبق لي سماع هذه المقطوعة. إنما أجدها ممتازة! رائعة!

تمتم:

- إنها... إنها إحدى مؤلفاتي.

قالت دهشة:

- إحدى مؤلفاتك!

انتصب الشاب وقد أضاف إلى قامته ما يقرب من خمس سنتيمترات

وأيضا لمعت عيناه إزاء دهشة الفتاة. أما هي فكانت تقذفه بنظرة عشق.

قال بنبرته العجيبة:

- شيء غير غريب. لقد قمت بوضع نوتة على الورق.

قالت "چوزيفا" وهي تقترب:

- شيء رائع! أرى أيضا أنك تترك شاربك ينمو وأنا أعجب بالشوارب.

نظرت "لوريان" إلى "ڤولوديا" وكانت موشكة أن تنطلق في الضحك.

ثم توجهت إلى "چيل" قائلة:

- سوف نصطحب "چوزيفا" إلى المعسكر للتعارف. أتاتي أنت أيضا؟

أجاب:

- سأذهب إلى هناك أنا أيضا لا داعي لإزعاجكم.

ثم قام بوضع آلته في غلافها. ثم اجتاز القاعة وفتح الباب برقة للفتاة وقبل أن يغلق الباب بينهم وبين الكبار. قال:

- "چيل لوموني" سيعتني بك أيتها الجميلة "چوزي".

ثم لامت "لوريان" "ڤولوديا" بقولها:

- لماذا ألقيت بـ"چيل" إلى هذه الحشرة التي تتصنع البراءة؟

أجابها:

- لأن هذا هو الذي سيفيده. سترين بنفسك كيف ستهدأ طباعه بعد بضع نظرات وبعض الكلمات المعسولة.

- تريد أن تقول: إنها سوف تجعله مجنونا. لماذا قمت بهذا الدور مع "چيل"؟ لقد بدأ يقلدك وها هو يتكلم بضمير الغائب!

كف "ڤولوديا" عن الضحك ومسح بظهر يده دموع "لوريان". ثم سألها:

liilas.com
قمر الليل

- هل تجدينني متعاظما؟

- بلا شك وأكثر من ذلك. ماذا أقول ببساطة ؟ رائع!!

قال:

- أتريدين الوصول إلى قمة السعادة؟ لقد وصل إليها الجميع من قبلنا. وها نحن بمفردنا الآن هنا.

قالت:

- أنت على حق. ما رأيك في أن تأتي إلى حجرتي. عندي زجاجة عصير كمثرى. ربما تكون أفضل من شراب التوت...

أجاب وهو يفرد شعرها على كتفيها:

- "ڤولوديا سيرچين" يعجب بعصير الكمثرى. لكن قولي لي: هل إذا ما تركت شاربي ينمو فهل هذا سيجعلك مفتونة بي؟

- إن هذا سيحتاج إلى وقت. إني مفتونة من الآن. إنك هكذا رائع!!

قال:

- هيا نتذوق مشروبك.

وعلى السلم كان يتوقف على كل درجة من درجاته ليقبلها وأخيرا وصلا إلى حجرة "لوريان" وكان ضوء خافت يسطع على أعمدة سريرها النحاسية.

جلس بالقرب منها ولاطفها ثم سألها:

- هل تصرين على أن أتناول هذا العصير؟

أجابته بسؤال وهي تلاطفه هي أيضا:

- أي عصير؟

ثم عاد "ڤولوديا" إلى ترديد العبارات الفنلنديه التي لا تفهم معناها

إنما كانت تكفيها أنغامها.

فقالت له:

- أنا أيضا أحبك يا حبي... يا "ڤولوديا".

تناول المشروب ثم قال بصوت منخفض:

- إنه منعش!

قالت:

- هانا أذكرك أنه كمثرى وليس توتا.

قال:

- فاخر! رائع! ... إني.....

ضحكت "لوريان" ثم توجهت إلى الثلاجة وأحضرت كوبين من هذا العصير... وبينما كانا يتبادلان الحديث وقع نظر "لوريان" على أصابع "ڤولوديا" تلك الأنامل الطويلة التي لفنان. ثم سألته:

- هل أنت راض دائما عن أن تكون زارعا؟

تقطب جبينه ولم يجبها في الحال ولما قرر أن يتكلم كان هذا حتى يتملص من السؤال. قال:

- عزيزتي "لوريان" لا داعي للكلام في هذا الأمر في أثناء لحظات السعادة هذه.. أحيطيني بذراعيك.

ولكي تغير مجرى الحديث قالت:

- أنا لم أر تفاحتنا منذ فترة طويلة يا "ڤولوديا" كيف حالها؟

- رائعة وبدأت تتلون. وينبغي عليك حتماً أن تأتي لرؤيتها.

ثم أضاف وهو يداعب شعرها:

- إنها رمز حبنا.

liilas.com
قمر الليل

قالت:

- إذن إذا كان حبنا ينمو وينضج فعلاً فلا تخف شيئا عني: قل لي ألم تشتق إلى العزف أمام الجمهور ؟

عمق النظر في عينيها وقال:

- إني أفتقد الجمهور بشدة وعندما أمتنع عن العزف أشعر أنني في عالم غريب وكأن جزءاً مني ميت!

سألته:

- وإذا كان هذا هو وضعك فلماذا إذن هذا الإصرار؟ اشرح لي.

- لقد سبق أن قلت لك: إني أريد أن أجد نفسي .

- لكن هل وجدت السعادة؟

- لقد وجدتك أنت يا جميلتي "لوريان".

- وهل ترى أن هذا كاف ؟

- إنك كل شيء بالنسبة لي يا حبي!

***

وفي يوم الخميس التالي وفي فترة ما بعد الظهر حدث أن "لوريان" و"ڤولوديا" حضرا بروڤة "أوركسترا الطلاب بقيادة العم "چيل".

جلس "ڤولوديا" بجوار "لوريان". ثم همس لها :

- إنني أتساءل هل تجيد "چوزي" الجميلة العزف على الناي؟ أشك في أن تكون فنانة قديرة مختفية تحت هذا المظهر الطائش.

أجابت "لوريان":

- هذا لا يهم ! يكفيها أن تطرف برموشها حتى تقود "الأوركسترا" كلها خلفها .

- هل رأيت "چيل"؟

صاحت "لوريان":

- يا إله السماء! لقد اغتسل وصفف شعره وها هو يبدو جذاباً محباً.

- معجزة ! . لا ؟

- بالضبط ! صدقني.

- بدأ العم "چيل" البروڤة وعندما امتلأت القاعة بأنغام مقطوعة الربيع لـ"ڤيڤالدي" حتى شعرت "لوريان" أن "ڤولوديا" يرتجف أكثر فأكثر من العصبية لأنه كان قريباً منها.

لم تفهم "لوريان" سبب هذا التوتر . إذ إنها مع ذلك كانت تعتقد أن الطلاب يعزفون جيداً . غير أن "ڤولوديا" كان يزداد ضيقاً كلما تقدم اللحن. حاولت أن تأخذ رأيه في الطريقة التي تعزف بها "چوزيفا" فأجابها بإشارة برأسه . لم تتأكد إذا كان فهم ما قالته له أم لا.

ولما انتهت البروڤة سألته "لوريان":

- ما رأيك في الـ"أوركسترا"؟

- ممتازة ! في إمكانها تقديم الحفلة غداً بدون مشاكل .

كانت "لوريان" ستسترسل في استجواب "ڤولوديا" غير أنها تحققت فجأة أنها ليست البروڤة التي تشكل المشكلة عنده، إنما الحفلة نفسها.

قال "ڤولوديا":

- تعالي معي إلى المزرعة . تعالي لرؤية الألوان الجميلة التي اتخذتها تفاحتنا.

###

- تجولا ببطء في الحديقة المليئة بالفواكه التي قد نمت ونضجت

liilas.com
قمر الليل

بفعل حرارة شهر يونيو ، لأنه في الواقع كانت ثمرات التفاح يميل البعض منها إلى الأصفر وبعضها بدأ يأخذ اللون الأحمر- البرتقالي والبعض الآخر كان قد سقط على الأرض لتوه وله رائحة جذابة وأصبح فريسة للحشرات .

- ولما وصلا إلى شجرتهما خفض "ڤولوديا" الغصن ثم قال :

- انظري كم هي جميلة !

كانت "لوريان" متأثرة وهي تنظر إلى الثمرة فسألته :

- ماذا ستعمل بها عندما تنضج تماماً؟ أتعشم ألا ترحل إلى السوق مع الأخريات . أنا لا أحتمل أن يقوم أحد بتحويلها إلى كمبوت.

أجابها :

- لا ترددي هذا ! بلا شك سوف أغلفها بالبرنز وسأحتفظ بها إلى الأبد أعلى المدخنة تخليداً لذكرى هذا الصيف وبالأكثر ذكرى حبنا .

قالت "لوريان" مازحة:

- لكنها لم تعد كما كانت.

وعلى الرغم من روح الدعابة التي تكلمت بها أحست "لوريان" فجأة بوخز في قلبها . ألم يتكلم "ڤولوديا" عن حبهما كمن يتكلم عن شيء مضى؟

واستمرا في التجول تحت أشجار التفاح. غير قاصدين هدفاً محدداً ثم قطعت "لوريان" الصمت بسؤالها :

- هل كنت تحب زوجتك؟

- "هيلڤي"؟ تسالينني إذا كنت أحبها ؟ أعتقد أني كنت متعلقا بها ومازلت أراها كلما توجهت إلى "فنلندا" .. لقد تزوجت مرة أخرى . لكن

هذا لا يمنع أننا أصبحنا صديقين... لكن هل كنت أحبها ؟!

هز "ڤولوديا" كتفيه بدلا من أن يعطيها إجابة محددة عن سؤالها.

قالت "لوريان":

- أسفة يا "ڤولوديا" في الواقع هذا لا يهمني . وما كان ينبغي أن أتكلم عن هذه الأمور.

أجابها "ڤولوديا" وهو يمسك يدها:

- بل إنه يهمك . عندما كنت أقدم حفلات كنت لا أجد الوقت الكافي للتفكير في الحب أو في الصداقة . كنت أهب نفسي وكل كياني للجمهور الذي كان يحبني من أجل الموسيقى التي أقدمها إليه.

ثم توقف عن الكلام وتفرس فيها لأنه خشي ألا تكون متفهمة كلامه.

ثم استطرد:

- كانت حياة مليئة بالحركة . كنت أعبد المسرح وأحب الجماهير.

- أعلم قليلاً عن هذه الحياة إذ قد تذوقت الهتافات.

قال:

- إن النجاح شيء مثير لكن ينتهي بأن يجد المرء نفسه وحيداً .

- فتزوجت "هيلڤي". أليس كذلك؟

- بلى ! كنت قد قابلتها في "فنلندا" في الإجازة. إنها سيدة جميلة ، وديعة ، تتمتع بكل ما يسعد الرجل . لكنها كانت تجهل كل شيء عن الجمهور، عن المسرح ، عن الموسيقى، بصفة عامة تجهل كل شيء عن الفن لذلك كانت لا تقدر لماذا كان كل هذا مهما بالنسبة لي . كانت تريد الحياة الأسرية فقط وأنا بحكم عملي كنت دائم الأسفار.

سالته "لوريان":

lilas.com
وم ـــرالـيل

- ألم يكن لديها شيء في حياتها سواك؟

أجاب:

- كنت قد حددت إقامتها في الولايات المتحدة. وطبعاً تركت أسرتها وأصدقاءها في "فنلندا". أما من جانبي فانا كنت تقريباً غير موجود معها ولقد أتت طفلتنا بين جولتين في الخارج.

- أشارت إليه "لوريان" حتى يتوقف عن سرد ماساته ... ثم أخذته بين ذراعيها.

أكمل "ڤولوديا":

- لم أحضر ولادة "سالومي" لأني كنت في "شيكاغو". ولما ماتت ابنتي كنت أيضا في حفلة في "نيويورك".

قالت:

- كفى! لقد تأثرت جداً يا "ڤولوديا".

قال:

- وحتى بعد ذلك كان عندي مهام أخرى تمنعني من البقاء مع "هيلڤي"، فما كان منها إلا أن طلبت الطلاق. ثم عادت إلى "فنلندا". أما بالنسبة لامتناعي عن المسرح فهذا كان لأني كنت أريد معرفة السبب الذي أوصلني إلى هذا الوضع.

قالت:

- ولماذا تدين نفسك يا "ڤولوديا"؟ ربما لم تكن الأخطاء من جانبك وهل رفضت المسرح حتى تعاقب نفسك؟

أجابها:

- ربما! لكن رفضته أكثر لوضع نهاية. إذ إنني و"هيلڤي" لم نكن

نعرف بعضنا البعض جيداً. كنا نجهل كل شيء عن أحلامنا. عن آمالنا. لم أجد قط الوقت اللازم لتعميق أي شيء جاعلاً الكمان - التي المفضلة - كل شيء وفوق كل شيء.

كانت "لوريان" تريد أن تجيبه وأن تواسيه غير أنها كانت تعلم أن اللحظة لم تسنح بعد لذلك.

استطرد:

- من أجل ذلك "ڤولوديا سيرچين" أصبح زارعا! لكي يستطيع أن يحب الجميلة "لوريان". لن أجبرك على أن تكوني زوجة عازف كمان مشهور. إذا كان علي أن أعود إلى الكمان فسوف أعيد لك حريتك.

قالت معترضة:

- آه! لا!

- لا تنطقي بكلمة. أنت لا تعلمين عم تتكلمين؟

صمتت "لوريان" إذ فهمت قصد "ڤولوديا".

علمت أن هذه الحياة لا ترضيه وأنه يوم أن يأخذ قراره ويتمم اختياره سيكون صعبا عليه أن يفهمها ما معنى الحب بالنسبة لها.

liilas.com
قمر الليل

الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي كانت "لوريان" تبدو منشرحة مبتسمة عندما ذهبت للقاء "ڤولوديا" في قاعة الدراسة حيث كان قد بدأ العمل فور دقات الساعة السابعة. أصبحت "لوريان" لا تجد أي ضيق أو حرج في مقابلة "ڤولوديا" كما كانت مصاحبتها "ڤولوديا" في العزف على الكمنجة الكبيرة تعد لحظات ذوات ثروة نادرة وكانت تعلم أنه يشاركها هذه المتعة. كان هذا اللقاء الصباحي بمثابة ميثاق حب وإخلاص يتجدد يوميا.

ومع ذلك كانت علامات عدم الرضا عند الفنان القدير أكثر وضوحا مما كان عليه خلال الأيام القليلة الماضية.

ألقى "ڤولوديا" بالكمان والقوس على المنضدة بشدة عقب أداء عزف خاطئ. ثم نهض ثائرا وكان وجهه محمرا بلون قرمزي.

ارتعدت "لوريان" إلى درجة أنها وقعت على الأرض. ثبتت "لوريان" نظرها عليه لحظة، إذ كانت قد صعقت عندما رأت انفجار "ڤولوديا" هذا وقد أتى فجاة.. وما هي ألا لحظات وها هو "ڤولوديا" يركل مقعده الذي وقع على الأرض مدويا.

اقتربت "لوريان" منه وسألته:

- أتشعر أنك تحسنت الآن؟

أجاب وهو يضع على الكرسي قدميه:

- لا!

- ماذا حدث يا "ڤولوديا"؟ ما الذي يضايقك؟

أجابها وهو يأخذ الكمان لكي يبدأ من جديد عزف المقطوعة من حيث توقف:

- كل شيء على ما يرام.

ودون أن تنطق بكلمة، عادت "لوريان" إلى الاشتراك مع "ڤولوديا" في العزف وعندما وصلا إلى نهاية المقطوعة الموسيقية عاد "ڤولوديا" إلى العزف المنفرد.

أخذت "لوريان" تنصت إليه. وكانت نغمات الكمان الحزينة تحرك مشاعرها. وكأن الموسيقى كانت تدور حولها وتمد إليها ألف ذراع حزينة في نداء مثير حرك عواطفها إلى أن امتلأت عيناها بالدموع.

كان لسانها معقودا وظلت تنظر إلى وجه "ڤولوديا" الذي ارتسمت عليه علامات الأسى دون أن تفقده جماله.

وفي نهاية فترة بعد الظهر وعندما انتهت الدراسة اصطحب "ڤولوديا" الفتاة إلى مزرعته. كان يبدو مشدود الأعصاب أكثر من ذي

liilas.com
وسراللیل

قبل وكان يقود السيارة بعنف ظنا منه أن هذا من علامات الرجولة.

تنهدت "لوريان" علامة على الطمأنينة لما وصلا أخيرا أمام المنزل الأبيض. قالت:

- إنك تبدو جذابا يا "ڤولوديا". ماذا حدث لك؟

أجابها:

- لا أدري يا "لوريان" ربما يكون من تأثير تغيير الفصول: إن الخريف يقترب.

قالت:

- أنت تعاملني مثل بلهاء!

نزلت من السيارة ومع ذلك وافقت أن يصطحبها نحو الحديقة. كانت تعلم تماما أن الوقت لا يسمح بتفجير الموقف ولما رأت ثمارا كثيرة على الأرض سألته:

- أليس الآن وقت جمع الثمار؟

قال بجفاف:

- بلى!

ثم أفاق واستطرد:

- آسف يا "لوريان" أنا لا أستحق أن أكون معك في مثل هذه الأوقات.

قالت:

- آه! لو أنك أشركتني في معرفة ما يضايقك ربما كان في استطاعتي مساعدتك.

قال:

- ليس هناك من يقدر على مساعدة "ڤولوديا سيرچين"!

قالت:

- لكني أود أن أحاول مساعدتك.

- إنك يا "لوريان" آخر من يقدر على ذلك. لأن مشكلتي هي: أنت.

- لكني لا أرغب في أن أكون مشكلة.

- بالضبط! من أجل ذلك أنت إحدى المشاكل. أنت ممتازة بالنسبة لي يا "لوريان".

عادت لتوجه إليه سؤالا مختلفا:

- ألم تفتقد بلدك؟ كلمني عن "فنلندا".

أمسك "ڤولوديا" بيدها وقادها أبعد من ذلك في البستان. وكان يشخص ببصره إلى سماء "كاليفورنيا" الزرقاء من حين إلى آخر.

ثم بدأ حديثه:

- "فنلندا" بلد شيق وجميل. إنه بلد الغابات والبحيرات. إنه بلد الأساطير. إنه بلد يضم بين الرمادي والأزرق، رقيق، شفاف. وهو يدعو إلى الحنين إليه. لقد أعلنت منذ فترة أن "فنلندا" قد تغيرت. لكن إذا ذهبت إلى هناك فستجدين هذا البلد كما هو. لذلك أود أن أريك "فنلندا" ذات يوم يا "لوريان".

سألته:

- وهل تتمنى العودة إليها لكي تقيم هناك؟

أجاب "ڤولوديا" وهو يركل تفاحة:

- بالتأكيد لا! بلدي هنا في الولايات المتحدة وهانا في مزرعتي. إنني أشعر هنا بالسعادة!

أفحمته بقولها:

liilas.com قمر الليل

- وإن كانت هنا سعادتك فهل تقدر أن تخبرني ما الذي يثيرك؟ إنك تبدو كالأسد الزائر في قفصه.

ظل "ڤولوديا" صامتا ومع ذلك كان في استطاعة "لوريان" رؤية هذه الزوبعة الشديدة التي تعتريه. وبينما كانت تغطي جبينه سحب سوداء، كان طرف أنفه يزداد بياضا. وقد ظهرت عضلة في فكه نتيجة تقلصات عصبية. ثم انفجر متمتما بعبارات ضيق وكان صدى الصوت يردد كلماته إلى الأبد. ولكي يظهر ضيقه بوضوح أكثر فرد "ڤولوديا" ذراعيه في حركة عنيفة علامة عدم القدرة على التصرف. ثم ضرب جذع شجرة بقبضة يده تلا ذلك تساقط ثمرات التفاح بكثرة جعلت "لوريان" تحمي رأسها منها بيدها اليمنى. ثم صاحت وهي تسرع نحوه:

- "ڤولوديا" ! ماذا بك؟

أمسكت يده بهدوء حتى تتفحص ما لحقها من أذى. بالتأكيد كانت أصابعه الجريحة تدمي... وما كان يدعو للقلق أكثر هو النزيف الذي كان تحت الجلد في قبضة يده الذي تحول لونه إلى بنفسجي داكن.

سألته:

- هل يؤلمك بشدة ؟

أجاب بشجاعة:

- لا. ليس بشدة. المهم أعتقد أني لم أصب بكسر.

قالت بنبرة توسل:

- أستحلفك بالسماء لا تتحرك يا "ڤولوديا" مادام لم يفحصك طبيب ولم تقم بعمل أشعة!

قرأت "لوريان" في نظرات "ڤولوديا" أنه لمس مثلها شدة الخطورة

كان "ڤولوديا" يتعايش من فنه وفنه هو حياته. وإذا فقد القدرة على استخدام يده ألا يعني ذلك أن الرجل يكون قد انتهى جزئيا؟!

أردفت "لوريان":

- هيا نعود إلى المنزل.

ولما وصلا إلى بهو المنزل جمع "ڤولوديا" قوته. وضحك قائلا:

- لا شيء! إنه جرح بسيط يا "لوريان". نحن الآن نقوم بتصعيد الأمر.

قالت بلهجة آمرة:

- اسكت ولا تتظاهر بالشجاعة. انظر أين تضع قدمك. إنك تكاد تقع، كفى ما بك! يا "چورچ" أين أنت. تعال! "ڤولوديا" مجروح!

أتى "چورچ" في الحال وهو لا يدري ما حدث. سأل منزعجا:

- ماذا حدث؟

- لقد ارتطمت يده بشجرة. اطلب الطبيب. أما أنا فسأضع له كمادات باردة عليها.

تدخل "ڤولوديا":

- كفي عن التهويل. ليس لدي أي كسر.ولا أعاني آلاما شديدة. لا داعي لاستدعاء طبيب!

صاح "چورچ":

- إن صبري تجاوز حدوده يا "ڤولوديا". لقد عانيت أمورك هذه كثيرا. كفى تصرفات طفولية!

ثم اختفى "چورچ" ليتصل بالتليفون.

قال "ڤولوديا" لـ"لوريان":

- أعتقد أنه من المفروض أن أقلق أنا أيضا. إنها أول مرة يناديني

liilas.com
قمر الليل

فيها "چورچ" باسمي وليس بلقبي.

وبعد مضي ثلاث ساعات كان "ڤولوديا" ومعه "لوريان" يخرجان من قسم الجراحة في مستشفى "سانتاروزا"!

قال "ڤولوديا" متمتما:

- كم من قصص سمعت من أجل هذه الكدمة المشؤومة!

أما "لوريان" فكانت تنظر إليه من زاوية عينها وهي متأكدة أن كل هذه الاهتمامات الموجهة إليه تبعث بنفسه السرور.

ثم أردف:

- إني متفق مع "چورچ" في الرأي. كفى أمور طفولة!!

ثم نظر إلى رباط يده وهو يراقب الفتاة ليرى رد الفعل عندها.

عاد ليستطرد:

- غير مجد أن تسالليني: فيم تفكر؟

أفحمته "لوريان" ثائرة وكانت تثبت نظرها على الطريق.

- لم يكن في نيتي توجيه هذا السؤال إليك.

قال:

- أما أنا فإني أعرف فيم تفكرين.

- أنا لا أفكر في شيء يا "ڤولوديا". لا شيء يشغل فكري في هذه الساعة.

- بلى. إنك تفكرين في أني غبي بالنسبة لعدم انزعاجي على يدي!..

قالت:

- لقد سبق أن قلت لي بنفسك: إن يديك ملكك وحدك. ولقد حفظت درسي. في استطاعتك التصرف فيهما. أيضا بما أنك تعتزم أن تكون

زارعا فتوقع التعرض لمثل هذه الحوادث كثيرا.

قال:

- إن يدي مؤمن عليهما بآلاف الدولارات.

- إذن بعهما واشتر زوجين آخرين. أطلب منك العفو عني يا "ڤولوديا". غاية ما في الأمر أني كنت خائفة عليك.

قال "ڤولوديا":

- إنه أنا الذي يجب عليه أن يطلب العفو يا جميلتي "لوريان". إن كل ما حدث هو نتيجة خطئي لأني كنت عصبيا منذ الصباح الباكر وهأنا قد حصلت على ما أستحق.

قالت:

- نعرف كلانا أسباب انحراف مزاجك. لماذا لا نواجه الواقع؟

- لا أفهم قصدك!

- آه! نعم! يا عزيزي "ڤولوديا سيرچين" إنك تموت اشتياقا للعودة إلى العزف لجماهيرك. لأنك لم تعد تحتمل الابتعاد عن حياتك الحقيقية. ألا وهي المسرح.

وبعد فترة صمت قال "ڤولوديا":

- أنت لا تقدرين ما تطالبينني به!

قالت له:

- كف عن تعذيب نفسك. إن أعلى رغبة لديك هي العودة إلى الحفلات.

- لا. بل إن أغلى رغبة عندي هي أن أكون بالقرب منك.

- لكنك معي دائما يا "ڤولوديا" وهذا لا يمنعك من الاشتياق إلى الاشتراك في حفل طلابنا الشهر القادم... اعترف بذلك!

liilas.com
قمر الليل

لم يجبها واتجهت "لوريان" إلى الممر المؤدي إلى المزرعة. ولما توقفت السيارة التفتت نحوه . قائلة:

- لماذا لا تريد الاعتراف بأنك ترغب في تقديم هذا الحفل معهم وأنت على يقين بأنها كبرى رغباتك؟

أجاب "ڤولوديا" وهو يمسك بوجهها بين يديه:

- خطأ! إن رغبتي الوحيدة في الحياة هي أن أسعدك. إن هذا أهد عندي يا "لوريان".

- إذن أسعدني يا "ڤولوديا" وتوقف عن اختبار نفسك .

- هل يسعدك أن تشاهديني في أثناء اشتراكي في الـ"أوركسترا"؟

- سأكون سعيدة يا حبي إذ إني سأعلم وقتئذ أنك سعيد ومادمت سعيدا فأنا أيضا سعيدة!

سكت "ڤولوديا" لحظات ثم ذهب واستند إلى مقعده وهو يتنهد. ثم قال:

- أمام سعادة هذا قدرها ليس أمام "ڤولوديا سيرجين" إلا الخضوع إذن سأعزف.

صاحت "لوريان":

- "ڤولوديا"...

لكنه أوقفها بقوله:

- لن أقوم بالاشتراك إلا في هذا الحفل وليس سواه. سأبقى زارعا اعلمي هذا جيدا. لن أتخلى عن أشجار التفاح بنفس القدر الذي به لن أتخلى عنك يا جميلتي "لوريان".

ثم اكتفى الشاب بحك رأسه في صمت لما شعر أنها تخطو خطوة إلى

الأمام.

استقبلهما "چورچ" في الصالة وكان قد عاد إلى مظهره الإنجليزي. بادرهما بسؤاله:

- ماذا كان التشخيص؟

أجاب "ڤولوديا":

- باختصار سأعود إلى المستشفى خلال أسبوع لكي ينزعوا لي هذه الضمادة وسيكون الجرح قد التأم.

تنهد "چورچ" ثم قال:

- يا للطمأنينة!

قالت "لوريان":

- كنت أود البقاء للاحتفال بالخبر السعيد. لكن ينبغي علي أن أعود إلى القرية. سوف يذبحون عجلا هذا المساء وتواجدي أمر ضروري.

ثم أضافت وهي تلفت نظر "ڤولوديا":

- موافق؟

بدت على "ڤولوديا" فجأة علامات الرغبة في أن يكون بمفرده بأسرع ما يمكن فقاطع "لوريان" بقوله:

- لا تشغلي بالك!

وعندما كانا "چورچ" و"لوريان" على البهو كان "ڤولوديا" قد اختفى في قاعة الموسيقى. ولما سمعا صوت الكمان وقفا للإنصات إلى مقطوعة ترتفع أنغامها في بداية اللحن ثم تنخفض تلت بعد ذلك فترة صمت. قطعتها الفتاة بقولها:

- لقد كان "ڤولوديا" أكثر قلقا مما كان يأمل أن يبدو. أليس كذلك؟

liilas.com
قمر الليل

أجاب "چورچ":

- إنه يعطي اهتماما كبيرا لفنه.

قالت:

- أعتقد أن التأثر أعاده قليلا إلى تفهم الحقائق. وها هو قد وافق على الاشتراك في حفلنا الذي سيقام الشهر القادم.

قال "چورچ":

- ربما لا تعلمين كم سررت لهذا الخبر.

وفجأة تحققت "لوريان" من أن "ڤولوديا" سوف يعود حقا إلى الموسيقى فأحست بالفخر. قالت:

- كم حاول مقاومة نفسه! إن الكمان هو حياته. إنه هو الذي يجعل منه شخصا عجيبا كله حيوية.

- أعتقد يا سيدتي أنه عندما تتقبلينه كما هو فسوف يساعده ذلك على تقبل ذاته.

وعندما كانت "لوريان" تتجه نحو السيارة اعتراها حزن انقبض له قلبها. قالت:

- أرجو أن تستمر علاقتنا عندما يقرر العودة إلى حياة الفن.. ومع ذلك لماذا يساورني إحساس بأن الأمور ستكون بخلاف ذلك!

طمأنها "چورچ" بهز رأسه وقد ساعد الظلام على ألا تشاهد "لوريان" شعاع القلق الظاهر في عينيه. كم كان تأثر القرية الموسيقية عميقا عندما علمت أن الرجل العظيم والفنان القدير "ڤولوديا سيرچين" وافق على الاشتراك في حفلها في نهاية العام! وكم وجد الطلاب في عودة عملاق الفن سرورا وإحساسا بالشرف بالاشتراك معه على المسرح.

وفي نهاية الأسبوع كان "ڤولوديا" يظهر وقد رفعت عنه ضمادة يده.. واندمج بدون انقطاع في البروفات.

وسرعان ما علمت الصحافة المحلية بخبر عودة الفنان المشهور إلى المسرح. ثم بنشر الدعاية عن قرية "بريان" الموسيقية وفي أقل وقت ممكن كانت كل تذاكر الحفلة قد نفدت. ومن جانبه كان "ڤولوديا" يشرف على كل شيء ويتابع البروفات بنفسه.

كان قد اختار مقطوعتين وإن كانتا قصيرتين لكنهما كانتا تتطلبان دقة وسرعة في التنفيذ لا مثيل لهما . وفي يوم الخميس من الأسبوع الأخير من شهر أغسطس ذهبت "لوريان" لمقابلة العم "چيل" في مكتبه.

قالت مبتسمة:

- إن "ڤولوديا" في قمة السرور. ببلوغ يوم الأحد سيكون لـ"ڤولوديا" سبعة عشر شهرا منذ أن تخلى عن المسرح. ومع ذلك ها هو ينتظر بفارغ الصبر هذا الحفل مثل طفل أمام الشجرة المضاءة صباح عيد الميلاد.

أجابها السيد "چيل":

- أعتقد أنه قد حق لنا الآن أن نفتخر بأنفسنا.

قالت:

- إنها ليست سوى بداية . "ڤولوديا" لا يرى الآن إلى أبعد من يوم الأحد. لكني أتعشم أن تتغير الأمور. كيف يتخلى عما هو بالنسبة له حياته الحقيقية؟

رد العم "چيل":

- لقد اجتزنا كلنا لحظات شك وأنت على علم بذلك يا عزيزتي.

liilas.com
قمر الليل

- لقد دفعني "ڤولوديا" إلى تجاوز مخاوفي.

- وهل هو اليوم في القرية؟

- لا! لأن ثمار التفاح إذ تم نضجها استدعى أحدا للقيام بعملية الجمع. إن "ڤولوديا" يتصرف مع ثماره مثل أب حقيقي. وإني أتساءل ألا يتألم عندما يراها كلها قد اختفت عند البيع؟ وأخيرا لن تبقى إلا تفاحة واحدة!

- واحدة؟

- أنت يا عمي "چيل" لا تستطيع فهم هذا الأمر. إنها قصة نحلة وزهور.

ضحك العم "چيل" ثم قال:

- أتظنين أني لا أعرف هذه القصص؟ أتعتقدين أنني كنت دائما هذا الرجل العجوز؟

انطلقت الفتاة في الضحك. ثم قالت:

- لا! أنا واثقة بأنك بالعكس كثيرا ما قمت بإشعال النار في قلوب الفتيات.

الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي وفي فترة بعد الظهر علمت "لوريان" أن لها مكالمة تليفونية. أسرعت بالتوجه إلى مكتب العم "چيل" متوقعة أن تسمع صوت "ڤولوديا".

- صباح الخير يا سيدتي. "چورچ ميللر" على التليفون.

انزعجت "لوريان" بعض الشيء ثم صاحت:

- "چورچ"! يا لها من مفاجأة!

- أرجو ألا أسبب لك إزعاجا!

- لا إطلاقا. هل أصاب "ڤولوديا" مكروه؟

- إيه... لا... ليس بالضبط.

- أفصح يا "چورچ" ماذا تقصد؟ "ڤولوديا" جرح؟

- لا! اطمئني... لم.. في النهاية... هل في استطاعتك الإسراع

liilas.com
قمر الليل

بالمجيء إلى المزرعة يا سيدتي؟ أعتقد أن السيد "سيرچين" محتاج إليك

ولما رأت الفتاة أنه لا فائدة من الاستفسارات. أجابته:

- حسنا. سأصل حالا.

دون أن تفكر في تبديل ملابسها أخذت "لوريان" حقيبتها واتجهت جريا إلى سيارتها. ولم يبد لها الطريق المؤدي إلى منزل "ڤولوديا" طويلا هكذا قبل ذلك.

وعندما توقفت أمام المنزل الأبيض لمحت "چورچ" ينتظرها أمام بهو المنزل. وفور نزولها من سيارتها سألته:

- ماذا حدث لـ"ڤولوديا"؟!

أجابها:

- هذا ما أجهله. لم يقل لي السيد "سيرچين" كلمة واحدة منذ أمس بعد الظهر. غير أن كل ما يبدو عليه يدل على أنه حزين. كما أنه لم يتناول أي طعام منذ أمس ولا أعرف بالتحديد كم كانت الساعة عندما دخل إلى مخدعه لذلك أرى أنه من المفيد أن تتكلمي معه حتى يستعيد استقراره.

قالت:

- بالتأكيد... أين هو؟

- إنه دائما في البساتين غير أني لا أستطيع تحديد المكان بالضبط يلزمنا البحث عنه.

اجتازت "لوريان" المزرعة وهي تجري. ثم وجدت نفسها في ظل أشجار التفاح. توجهت أولا تحت شجرتهما وتوقفت هناك وكان قلبها يخفق. "ڤولوديا" غير موجود. شعرت أن المكان قد فقد سحره

وشاعريته.

رفعت "لوريان" عينيها. مازالت التفاحة موجودة وقد تم نضجها وكان لرؤيتها - وهي رمز حبهما - أثر البلسم والأمل على قلبها.

واستمرت الفتاة في متابعة البحث عنه تحت الأشجار.. وكانت تتوقف بانتظام من وقت لآخر لكي تنادي: "ڤولوديا".

وكانت ريح الجنوب تهب على دفعات متسببة في تساقط الثمار الناضجة على الأرض. توقفت "لوريان" مرة أخرى وهي لا تدري إلى أين تتجه. وكانت من حولها ثمرات التفاح تحت الأشجار تبعث رائحة التخمر. وكلما كانت تتقدم في السير كانت ترى ثمرات التفاح مرصوصة بغزارة على الأرض وبعضها منقسم إلى اثنين. وأخيرا بدأت تجري وها هي تكتشف "ڤولوديا". كان جالسا على الأرض مستندا إلى جذع شجرة وكان نموذجا للحزن.. كان بنطلونه الچينز مغطى بالأتربة وكان قميصه مكرمشا ومندى بالعرق وملتصقا بجسمه. وكان أيضا ممسكا بيده مطواة. وكان يتأمل الثمار المفتوحة التي تحيط به على الأرض عابسا.

أسرعت "لوريان" بالجثو في مواجهته ثم وضعت يديها على ذراعيه. كانت "لوريان" تجد صعوبة في التنفس من أثر الجري والقلق. ثم قالت:

- ماذا في الأمر يا حبي؟ ماذا حدث؟

تنهد وقد تملكه الذعر:

- الديدان!

- الديدان؟

كرر:

linlas.com

- نعم الديدان.

سألته:

- عم تتكلم؟

أجابها:

- البيض.

بدأت "لوريان" تتساءل جديا: هل أصبح مجنونا؟ إذ إنه ظاهريا كان يبدو عليه أنه لا يتمتع بكامل قواه العقلية.

سألته:

- أي بيض يا "ڤولوديا"؟

تنهد الفنان بشدة وظل صامتا. مرت بعض الثواني ثقيلة ومؤلمة ولكي تخرجه من صمته. أردفت "لوريان":

- اسمع يا "ڤولوديا" إذا كان الأمر هو إحدى قصصك عن الحشرات فليتك تحكيها لي.

أجابها:

- ليست قصة إنما هي الحقيقة المحزنة: لقد وضعت الحشرات بيضها في أشجار التفاح. انظري.

ثم أمسك "ڤولوديا" بتفاحة وقسمها إلى اثنين أمام "لوريان" التي رأت لونها الأبيض وفجأة قفزت الفتاة من التقزز لأن ديدانا دقيقة رمادية كانت تملأ الثمرة.

صاحت "لوريان":

- يا للفظاعة! إنها ديدان.

ثم ساد السكون ثانية لا يقطعه إلا تساقط الثمرات.

قالت "لوريان":

- من المستحيل أن تكون كل الثمار تالفة.

أجابها:

- إن الخبراء الذين كنت قد استدعيتهم لجمع وفرز الثمار أكدوا لي أن النسبة المئوية للثمار التالفة كافية لجعل الحصاد غير قابل للبيع! ثم أضاف وقد ازداد حزنه وهو يغلق المطواة ويضعها في جيبه:

- إن ثمار التفاح لا تصلح إلا أن توضع بسلة القمامة!!

سألته:

- لكن كيف تم كل هذا؟ إننا عندما شاهدنا الثمار كانت تنمو جيدا. لقد رأيناها بعيوننا.

بدأ يشرح لها وهو يطلق تنهيدة ارتفع لها صدره:

- كان الأذى قد لحق بالثمار من البدء. إذ كان ينبغي رش الأشجار بالمبيد وقت الإزهار. وهذا ما كنت أجهله.

ربتت "لوريان" ظهره لتواسيه. ثم قالت:

- الأمر ليس بهذه الخطورة يا حبي. إنك لم تفقد كل شيء. هناك محاصيل أخرى تنتظرك فيما بعد.

قال:

- لا! لن توجد محاصيل أخرى: "ڤولوديا سيرچين" قد رسب. كانت فكرة غبية. كان عليه أن يعلم أنه ليس بين ليلة وضحاها يصبح الشخص زارعا.

قالت:

- ألا يوجد إلا التفاح في العالم؟

liilas.com
قمر الليل

نظر إليها "ڤولوديا" طويلا وكان الحزن قد تملكه أكثر.

وأخيرا قال:

- إنها حقيقة. ألا يوجد إلا التفاح؟ لكني كنت قد عقدت عليه أملا عريضا.

ضمته "لوريان" إليها وطبعت على جبينه قبلة رقيقة ثم هزته برفق وقالت:

- تعال. هيا بنا نعود إلى المنزل ويا حبذا لو أخذنا حمام "سونا" فسيفيدك تماما.

أجابها مكتئبا:

- لن يفيدني شيء بعد الآن.

مدت "لوريان" له يدها حتى تساعده على النهوض. ثم قالت وهي تبتسم:

- لا تكن سخيفا... سترى كم ستكون ثمار التفاح رائعة في العام القادم.

قال:

- لا. لقد انتهى مشروع التفاح. كنت غبيا عندما فكرت في تغيير مجرى حياتي.

قالت الفتاة:

- توجد أشياء كثيرة أخرى في الحياة: عندك "چورج"، القرية الموسيقية وكل الذين يحبونك ويعجبون بك. عندك الكمان يا "ڤولوديا"...

ثم أضافت مهمومة:

- وعندك أنا أيضا!

وبعد سماع هذه الكلمات شد "ڤولوديا" على يد "لوريان" التي لم تجبه... وكان وجهه الجميل يعكس الأفكار المتضاربة التي تزعجه.

وصلا إلى المنزل الخشبي الصغير الذي كان مازال دافئا وكان دخان أزرق يخرج من مدخنته.

دخل "ڤولوديا" إلى حجرة "السونا" وصب الماء على الصخرة التي خرج منها البخار. كانت "لوريان" تأمل أن يعيد له هذا الحمام نشاطه واستقراره.

كانت الفتاة تعلم أن فقد الفاكهة لا يمثل بالنسبة لـ"ڤولوديا" متاعب مالية، إذ عنده من المال ما يكفيه لأنه في حالة ثراء تجعله لا يهتم بأمر كهذا. إنما المشكلة الحقيقية تتلخص في إحساسه بأنه لأول مرة في حياته واجه الفشل. إذ إنه بعد أن تخلى عن المسرح وقام بهذا المشروع واضعا فيه كل جهوده، وجد نفسه في النهاية قد كوفئ بكارثة.

مدت "لوريان" يدها لملاطفته. ثم قالت:

- إنها ليست سوى ثمار تفاح يا "ڤولوديا" لا تتكدر هكذا.

أجاب:

- إنها كانت ثماري وحدي.

أرادت "لوريان" مداعبته قالت:

- وجب علي أن أعلن أن هذه الحشرات وقحة. كيف تجرأت على الهجوم على الشهير "ڤولوديا سيرچين"؟

- أسوأ من هذا يا "لوريان". أن هذه الديدان علامة.

- علامة ماذا؟

liilas.com

قمر الليل

- لقد تحققت من صدق قولك. إذ إن كل ما قلته لي قد تم. إنني عازف كمان والمزرعة لا تلغيني.

- لكن يا "ڤولوديا" كل الناس اقتنعوا بذلك إلا أنت.

- لقد ولدت لكي أعزف على الكمان. ولا يمكنني أن أكون "ڤولوديا" إلا إذا مارست مهنتي! غير أني كنت قد تمنيت إقامة حياة أخرى لكلينا معا.

قالت:

- سوف نستعيد سعادتنا يا "ڤولوديا" عندما تعود إلى آلتك الموسيقية. الأمر يختلف هذه المرة.

ثم قام "ڤولوديا" بتقبيل اليد التي كانت تلاطفه. ثم قال:

- أتعلمين أني أحبك أكثر من حياتي يا جميلتي "لوريان".

أجابته:

- أعلم أنك تحبني وأنا أيضا أحبك. إنك كلك لي.

أجابها بنبرة حزينة:

- فقط عندما يكون هذا حقيقة. كم أود أن نكون زوجا وزوجة إلى الأبد، لكن هذه النكبة اكتسحت كل آمالي.

ثم هم بالانصراف.

صاحت "لوريان" وهي تلاحقه:

- "ڤولوديا"!

وها هو "ڤولوديا" ينزل في حمام السباحة وأخذ يعوم بسرعة فائقة ومن شدة الأمواج كانت الطيور الموجودة على الأشجار المحيطة بالحمام تطير.

جلست "لوريان" على حافة الحوض وقدماها في الماء وهي تراقبه لأنها كانت قلقة عليه. إذ كانت ترى كيف كان يعوم بشدة وعصبية وكان يبدو مثل حيوان أسير.

وبعد أن قطع مسافات طويلة أخيرا اقترب وجلس إلى جوارها. قالت:

- إن موضوع العودة إلى الكمان لا يدخل في علاقتنا. لذلك لا أرى ماذا سيكون الوضع كما تتخيله.

قال:

- عندما علم الناس بأني سأشترك في حفلة "بريان" تلقيت كما من العروض لكي أقوم بالعزف في أربعة أماكن في أرجاء العالم: من "البيت الأبيض" إلى "لندن" و"ڤيينا" و"باريس". ومادام قد انتهى أمر التفاح فسأوافق على جميعها.

- أفهم تماما لكنك لم ترد علي.

قال:

- أنا والكمان كيان واحد أي لا يمكن أن نتجزأ ولا أستطيع أن أجبر نفسي على أن أكون شيئا آخر غير الذي أنا فيه.

قالت:

- أعلم جيدا يا "ڤولوديا" أنك بدون آلتك سوف تصبح إنسانا غير محتمل. أريد أن أؤكد لك أني لا أتمنى سوى شيء واحد: أن تعود إلى مهنتك.

قال:

- اسمعي يا "لوريان" لقد تزوجت بفنان ولم يكن يهتم إلا بفنه. وأنا أيضا إذا كان زواجي قد فشل فهذا راجع إلى نفس الأسباب. إذن: إذا

liilas.com
قمر الليل

تزوجتني فمعناه السعي إلى الكارثة.

- ولماذا؟ ربما يختلف الأمر معنا!

وبينما كان يتفرس في عينيها قال مركزا على كلماته:

- أتعتقدين أنك ستكونين سعيدة عندما أتغيب عنك دوما.

احتملت "لوريان" نظرته وهي تحاول أن تتخيل ما سوف تكون عليه حياتها. انقبض قلبها لمجرد تفكيرها في صورة الوحدة.

لقد جاهدت "لوريان" حتى تحصل على موافقة "ڤولوديا" على العرس في حفلة القرية وأن يعود إلى مهنته لأنها كانت تعلم أن في هذا منبع سعادتها.. ولم تفكر قط في أنه من الممكن أن يكون أيضا سبب شقائها

قالت وقد بدت محطمة:

- إني أكره مجرد فكرة أنك سوف ترحل.

ثم صاحت:

- لكن ماذا ستعمل بتفاحتنا؟ ماذا ستعمل بحبنا؟

التفت "ڤولوديا" نحو الحدائق ثم نظر من جديد إلى الفتاة:

- توجد دودة في الثمرة يا "لوريان". ما كان ينبغي أبدا أن أفتح قلبي لحبك لأنه ليس لي الحق في ذلك.

قالت:

- أحبك يا "ڤولوديا".

- وأنا أحبك كثيرا إلى حد يجعلني ألا أفرض حياتي عليك. إذ إني لا أملك إلا التعاسة والوحدة لكي أقدمها إليك. ولن أحتمل رؤيتك وأنت - رويدا رويدا - تكرهينني.

قالت وهي تنهض وتدير له ظهرها:

- لا يمكن أن أكرهك يا "ڤولوديا".

قال:

- أحلف لك يا "لوريان" أني لو استطعت التخلي عن احتياجي للعزف لنفذت ذلك في الحال.

التفتت "لوريان" وهي تحبس دموعها:

- لو كنت علمت قبل الآن أنك ستتركني لكنت شجعتك على العمل في المزرعة بدلا من أن أدفعك إلى العودة إلى العزف.

إن حبنا يا "لوريان" مثل حلم رائع وأنا أريد أن أحتفظ به كما هو. لن أقبل أن أراه يتحول إلى كابوس أبدا.

ثم جذبها "ڤولوديا" إليه وقبلها بحنان أما هي فقد تعلقت به مثل الغريق الذي يجد من ينقذه. وأخيرا فك ذراعيها اللتين كانتا تحيطان برقبته وتراجع خطوة. ثم قال:

- سأحتفظ بهذا الحلم وكأنه أغلى الكنوز.وأعلم تماما أنه سيهبني راحة وفي الوقت نفسه ألما.

ثم ابتعد وقد قوس ظهره. رأته "لوريان" - من خلال دموعها - وهو ينصرف ثم ذهبت إلى المنزل حيث تقابلت مع "چورچ" في الصالة.

سألها "چورچ" لما رآها مكتئبة:

- ما الذي يحدث؟

- أين "ڤولوديا"؟

- في قاعة الموسيقى.

- آه! يا "چورچ". كيف سأتصرف؟ إنني لا أستطيع الحياة بدونه.

كانت "لوريان" ستسترسل في الحديث لكن صوت الكمان أوقفها. كان

lilas.com
قمر الليل

اللحن يترجم مشاعر حزن الفنان.

اجتازت "لوريان" الصالون لتقترب من الأبواب الزجاجية. وكانت ترتجف مثل الورقة عند سماع نحيب الكمان وهي لا تعلم هل هو منبثق من روح "ڤولوديا" أم من روحها؟ وبعد بضع دقائق أتى "چورچ" وأخذها بهدوء من ذراعها وأخرجها من الصالون وهو يمد لها يده بمنديل كبير أبيض.

ثم تمتم من بين شفتيه:

- ما الذي يخترعه هذا الرجل الغبي غير المحتمل؟

قالت "لوريان" معترضة:

- لا يا "چورچ" "ڤولوديا" ليس غبيا. إنه إنسان طيب. كريم، حساس وأيضا تعيس جدا. إنه يتصرف معي هكذا بدافع حبه لي.

وبعد أن تفوهت بهذه الكلمات أسرعت "لوريان" إلى سيارتها وكانت أنغام الكمان تبدو وكأنها تلاحقها لكي تكسر قلبها: إنه وداع "ڤولوديا".

###

عادت "لوريان" إلى حجرتها... ومع فقد حبها شعرت بآلامها تتزايد لأنها كانت تتذكر اللحظات السعيدة التي قضياها معا. وكانت تسمع من نافذتها أصوات الآلات المختلفة التي كان الطلاب يعزفون عليها في شاليهاتهم.

"الحفل"! كانت "لوريان" تتمنى ألا تسمع أحدا يتكلم عنه. إذ من أجله قابلت "ڤولوديا" وبسببه أيضا فقدته. وضعت يديها على أذنيها وألقت بنفسها على سريرها ودفنت رأسها تحت الوسائد لكيلا تسمع شيئا ثم تراءت لها صورة في ذهنها: صورة تفاحة حمراء لامعة وفي قلبها دودة تتحرك وتنمو إلى أن جعلت الثمرة تنفجر وتنقسم إلى جزءين

حتى ينفصلا إلى الأبد. مثل "ڤولوديا" ومثلها.

وفي اليوم التالي وهو اليوم السابق للحفلة استيقظت "لوريان" وكان قلبها يرتجف في صدرها. وكان - من قاعة الدراسة أسفل حجرتها - يأتيها بوضوح صوت الكمان. وكان العازف - بلا شك- أستاذا.

وفي الساعة السابعة والنصف صباحا تأكدت أنه "ڤولوديا".

لم تكن "لوريان" لتتوقع هذه الزيارة لكن ربما كان قد فكر طوال الليل وغير رأيه.. عادت لتقول لا.. مستحيل. ثم رأت ثانية القرار الذي اتخذه في الليلة السابقة: ومن المحال أن تتوقع أن هناك فرصة أخرى أمام حبهما.

وعلى الرغم من حزنها كانت فكرة أنها ستراه مرة أخرى تدفعها إلى ترك فراشها. وفي دقائق اغتسلت وارتدت "چينز" و"تي شيرت" ثم مشطت شعرها وضمته بشريط أحمر. فتحت بابها وأسرعت إلى قاعة الدراسة. وعندما فتحت باب القاعة تسمرت وقد خاب أملها.

تمتمت:

- "چيل"! "چوزيفا" أنتما اللذان تعزفان؟

ولما دخلت "لوريان" توقف "چيل" عن العزف. أما "چوزيفا" فكانت تتمتع بنضارة واضحة. كانت جالسة متأملة بالقرب منه. بادرت "چوزيفا" بقولها:

- يبدو عليك أن مزاجك ليس على ما يرام.

أجابت "لوريان" وهي تحاول الابتسام:

- لا. أبدا. كل شيء على ما يرام. غاية ما في الأمر لقد فوجئت لأني لا أتوقع وجودكما هنا مبكرا هكذا!

قال "چيل" موضحا:

- إني أنتظر السيد "سيرچين" لأني أعلم أنه يأتي إلى هنا في هذه

liilas.com
قمر الليل

الساعة لأني محتاج إلى نصيحة مهمة منه. كان من الممكن أن ألتقي به فيما بعد لكن هذا سيتعذر علي لأن والدي سيحضر لاصطحابي بعد الحفل مباشرة.

قالت "لوريان" ممزقة:

- أخشى ألا يحضر اليوم يا "چيل".

قفزت "چوزيفا" وأمسكت بيد "چيل" واجتازت القاعة ثم جلست على مقعد أمام "لوريان". ثم قالت:

- لا تقولي لي: إنكما انفصلتما. لا! أنا لا أحتمل ذلك!

أجابتها "لوريان" وكانت تعمل على الاحتفاظ بهدوئها:

- الأمر أكثر تعقيدا من ذلك.

سأل "چيل" وقد كان في قمة القلق:

- لكنه سيأتي في الصيف القادم. أليس كذلك؟

- لقد قرر السيد "سيرچين" العودة إلى عمله من أجل ذلك سيكون مشغولا جدا. أتعلم يا "چيل" أن شعاره هو العمل فوق كل شيء.

قالت "چوزيفا":

- لقد انفصلتما. أليس كذلك؟ يا آنسة "بريان" إني متأثرة لذلك!

قالت "لوريان":

- شيء لا يهم يا عزيزتي. ماذا تريدين؟ إن الأمور لا تسير في الاتجاه الذي نتمناه. "تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن".

قالت "چوزيفا":

- غير أن الأمر يختلف بالنسبة لنا لأننا سنحب بعضنا البعض دائما عندما نلتقي في القرية خلال الصيف القادم. أليس كذلك يا "چيل"؟

حك "چيل" رأسه في صمت. ثم قال:

- لن يعود؟ لماذا؟ ألا يهتم بنا؟

- بالتأكيد لا يا "چيل". إن عنده عمله من جانب آخر. إنك تقدمت كثيرا في العزف وأصبحت غير محتاج إليه. والدليل: وأنا أسمع عزفك اعتقدت أن السيد "سيرچين" هو الذي يعزف.

قالت "چوزيفا" ملحة:

- لكن لماذا هذا الانفصال؟ ألا تحبينه؟

كانت "لوريان" تبحث عن الكلام. ثم أجابتها:

- هذا الأمر لا يهم. أنا أحب دائما السيد "سيرچين" وهو أيضا يحبني. لكنه نجم وجمهوره يطلبه إلى حد قد لا يترك لنا الوقت الكافي لنلتقي ببعضنا البعض. إن الزواج محتاج إلى ما هو أكثر من الحب. من أجل ذلك قررنا أنا و"ڤولوديا" أن نتخلى عن حبنا أفضل من أن نبني مستقبلا تعيسا.

- هل تعتقدين أن السيد "سيرچين" لن يتواجد هنا وبالتالي لن تجدا فرصة التقرب من بعضكما البعض؟

أجابتها:

- إن هذا هو الوضع بالضبط يا "چوزيفا".

أخذت "چوزي" تتفرس تارة في وجه "چيل" وتارة أخرى في وجه "لوريان" وأخيرا التفتت إلى هذه الأخيرة معلقة:

- أما أنا إذا ما أحببت أحدا فلن أترك حبيبي يفلت مني.

ثم بعد ذلك سادت المكان فترة صمت. خلالها كانت "چوزيفا" تثبت النظر في "لوريان" و"چيل" كان ينظر من النافذة أما "لوريان" فكانت لا ترى شيئا حيث كانت شاردة. يبدو أن العبارة الأخيرة التي تفوهت بها الصغيرة كانت تبدو وكأنها سوف ترن في أذنيها إلى الأبد.

قالت "لوريان":

- حسنا الآن. من الأفضل أن أترككما للعمل.

liilas.com
وم ـــر الليل

وفي الممر استندت "لوريان" إلى الحائط وتنهدت بعمق ثم حاولت تعديل أفكارها. ثم اتجهت نحو مكتب العم "چيل" ودخلت دون أن تستأذن ثم ارتمت في أقرب مقعد.

كان وقتئذ السيد "چيل" يرشف قهوته. أخذته الدهشة لما رآها. علمت "لوريان" أن أمامه ثلاثة آلاف معلومة محتاجة إلى تنظيم. بادرته بقولها:

- أمن الممكن أن تتفرغ لي بعض اللحظات يا عمي "چيل"؟

أجابها:

- لدي دائما دقائق من أجلك يا عزيزتي حتى لو كنت على موعد عاطفي... وإن كنت أحسن الاعتقاد أرى أن السماء قد سقطت على رأسك. قالت:

- لقد قررت متابعة "ڤولوديا" في تنقلاته.

- في تنقلاته؟

- ومن الممكن ألا يقبلني.

- وضحي يا "لوريان". ليس لدي الوقت للعب بالألغاز.

- لقد قرر "ڤولوديا" العودة إلى مهنته وأمامه عروض عمل في كل مكان.

- هذا رائع!

- أعتقد نعم... لكن....

- لكن ماذا؟

- لكن أنا لا أحتمل فكرة انفصالي عنه.

قال السيد "چيل" ساخرا:

- يا إلهي! لقد أصبحت الحياة شاقة أحيانا بالنسبة للشباب. ألا نستطيع القيام بعمل شيء؟

- إن صوت الحكمة صدر هذا الصباح من فم طفلين. كانا يتساءلان لماذا لا أطوف مع "ڤولوديا"

- وبعد؟

- وبعد فكرت أنه من الأفضل أن أبقى بالقرب من "ڤولوديا". ليكن ذلك على الأقل لكي أمنعه من التعرض لخيبة الأمل كما حدث مع مشروع شجر التفاح. إنه محتاج إلى شخص يقوم بتنظيم تحركاته وخاصة إلى من لا يتردد في أن يعارضه عند اللزوم.

- وهل هو موافق؟

- لم أخبره بعد بذلك. إن الفكرة أتتني لتوها. لكن أعتقد أنه لن يوافق لأنه متحامل على فكرة الزواج.

- وماذا تتوقعين يا عزيزتي: إنه "أوروبي"!

قالت:

- أعلم ذلك وهذا هو ما يهبه هذا السحر الذي لا يضارع، وعلى كل حال لقد عملت على ترتيب أفكاري قبل أن أواجهه لذلك أتيت لأخذ رأيك.

قال السيد "چيل" مبتسما:

- ولتفهميني أن علي أن أبحث عن شخص غيرك ليحل محلي في القرية؟

قالت:

- إني أشعر يا عمي أني مخطئة. لقد عملت الكثير من أجلي وهأنا أتخلى عنك في الوقت الذي تحتاج إلي فيه.

- لا تهتمي يا عزيزتي. عندي حلول أخرى.

فهمت "لوريان" أن عمها يريد أن يطمئنها. قالت:

- أنا أعبد القرية وطلبتها. أنت تعلم ذلك. لكني أحب "ڤولوديا" يا عمي "چيل". إنه كل شيء بالنسبة لي وينبغي علي أن أتبعه أينما ذهب.

liilas.com
قمر الليل

قال ضاحكا:

- لا تهتمي. إن المقاصد الإلهية بعيدة عن الفحص. غير أن هذا لا يمنع من أنها كثيرا ما تكون في صالحنا.

- ماذا تقصد؟

قال وهو ينهض:

- لا شيء مما يخصك يا صغيرتي.

- هل أستطيع الاتصال بـ"ڤولوديا" لكي أخبره أني سأصل حالا إلى مزرعته؟

أعاد السيد "چيل" سماعة التليفون إلى مكانها . ثم قال:

- دعيه قليلا، إنه الآن في نفس حالتك لكن فيما بعد سنستطيع إقناعه بسهولة أكثر يجب علينا معرفة وضع كل الورق من جانبه.

تملك الشك "لوريان" فقالت:

- عمي "چيل" هل تخفي عني شيئا؟

- لا. أبدا. ببساطة لقد حان وقت موعدي . والآن امتنعي عن شغل فكرك وسترين كيف ستتحسن الأمور.

وطوال النهار كانت الفتاة تردد في ذهنها كل مشروعاتها. ثم انتهت بأن يستقر رأيها على أن العم "چيل" على حق. ولو توصلت إلى التحدث مع "ڤولوديا" بهدوء فسوف يعدل عن قراراته وكل الأمور تسير إلى الأحسن.

ستذهب "لوريان" غدا بعد الحفل للقاء "ڤولوديا" في منزله. إن حرارة الجمهور سوف تهبه استقرارا يساعده على الموافقة على أي شيء على الأقل هذا ما كانت "لوريان" تتمناه.

الفصل الثاني عشر

كان الجو في صباح يوم الأحد مشمسا وحارا حتى على شاطئ النهر. وكان كل واحد منتظرا بفارغ الصبر الحفل الذي سيقام بعد ساعتين.

استيقظت "لوريان" مبكرا حتى تقضي أكبر وقت ممكن مع الطلاب الذين كانوا عصبيين وهم في أشد الاحتياج إلى مؤازرة وتشجيع. كانت اللحظات - التي كانت "لوريان" تشعر فيها أن صبرها كاد ينفد لكي ترى "ڤولوديا" - تمر أسرع من تلك التي كانت تتمنى فيها أن تكون وحيدة في الدنيا وألا تراه بعد أبدا وأن تفكر في ارتباكه.

وقبل فترة بعد الظهر بقليل استطاعت أن تنسحب إلى حجرتها. أخذت دشا ثم اعتنت بهندامها: ارتدت فستانا من القماش الحريري الأسود وكان يظهر قوامها. قامت بتصفيف شعرها في منظر يليق بالحفل ثم تزينت بعناية وهكذا بدت في مظهر أنيق جذاب. ثم تعطرت.

liilas.com
قمر الليل

يا لسخرية القدر! لقد خيل إليها أنها تستنشق رائحة تخمر الفاكهة التي كانت قد غمرت البساتين في آخر لقاء لها مع "ڤولوديا".

آه لو وجدت وسيلة للبقاء معا. وأخيرا ارتدت "لوريان" حذاء لامعا أسود بكعب عال ثم ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة وبعد ذلك انصرفت. وجدت الطلبة في القاعة وقد تزايدت عصبيتهم وكان السكون يسود المكان.

كانت تقدر مشاعرهم في يوم مثل هذا وكانت معدتها تنعقد بسبب تعاطفها معهم.

اصطحبهم أتوبيس خاص إلى مكان العرض وكانت "لوريان" تجلس إلى جانب عمها بالقرب من السائق. كان جمع غفير ينتظر الموسيقيين في مركز الفن "سانتاروزا" وكان خبر عودة "ڤولوديا" إلى المسرح له أثر في تواجد أكثر من شخصية مرموقة من بينهم الممثل المشهور صاحب المسلسل التليفزيوني "المجتمع الراقي". وعندما لمحها "جورج ميللر" أتى لمقابلتها . سألته:

- هل هو هنا؟

- إنه في الطابق العلوي في سكنه. إنه في حالة عصبية لا تصدق. وليتني أذهب عنده ربما أستطيع تهدئته قليلا.

كانت "لوريان" هي أيضا تتمنى مساندة "ڤولوديا" لكنها اضطرت إلى البقاء مع شباب الفنانين ولما دخلوا وراء الكواليس أخذت "لوريان" مكانها وسط الأساتذة.

كان مكانها في الصف الثالث في مواجهة المسرح. وكان المسرح الذي سعته خمسمائة مشاهد مكتظا بالناس وكان البعض وقوفا أيضا. ووسط هذه الدوامة كانت "لوريان" تنتظر بفارغ الصبر رؤية "ڤولوديا" لم تره منذ يومين لكنها كانت تشعر أنهما قريبان.

بدأت إضاءة القاعة تنخفض قليلا قليلا بينما كانت الكشافات قد سلطت على المسرح. وقف الطلاب صامتين . العم "چيل" ظهر على المسرح ووقف خلف حامل النوتة لقيادة "الأوركسترا" ثم تبعه "ڤولوديا" الذي أحدث وصوله ضجة كبرى، إذ تعالت الهتافات والتصفيق وعبارات الترحاب وعلى الرغم من كل هذه الأصوات كانت "لوريان" لا تسمع شيئا . وكانت لا ترى إلا "ڤولوديا" وكان يبدو أنيقا بل غاية في الأناقة.

شعرت "لوريان" بالدم يجري في عروقها عندما شاهدته تحت الأضواء بهذا الجمال، بهذه الثقة بالنفس، وتمالكت نفسها حتى لا تندفع نحوه. كان "ڤولوديا" يقابل هتافات وتصفيق المشاهدين بابتسامة مشرقة. ثم مسح بنظره القاعة وإن كان لا يتحقق من شخصية كل متفرج إلا أن كل واحد من الحاضرين كان يشعر أنه ينظر إليه ويبتسم له!

فهمت "لوريان" في هذه الفترة القصيرة أن الجمهور بدأ يمتلك "ڤولوديا" فأحست بغيرة قاتلة. آه لو أنه فقط يوافق على بقائها بالقرب منه ويقبل أن تتبعه في تنقلاته!

جلس "ڤولوديا" على المقعد الذي كان قد جهز له عن يسار الـ"أوركسترا" ووضع الكمان بهدوء على ركبتيه معلنا السيد "چيل" بابتسامة خفيفة أنه جاهز : مستعد.

التفت هذا الأخير نحو الجمهور ورفع عصاه يناشده الهدوء. ثم قال:

- شكرا لكم على تشريفكم هذا الحفل. حقا لم نشاهد هذا العدد من الحاضرين قبل اليوم وأنا لا أجهل أن حضور السيد "ڤولوديا سيرچين" على المسرح اليوم يستحق كل هذا التقدير. اعلموا أن عودته شرف لنا . وأيضا تنازل كبير منه إذ إنه قام بإعداد طلابنا الموهوبين لهذا الحفل.

كانت "لوريان" لا تصغي باهتمام إلى ما يقوله عمها لأنها كانت تثبت

liilas.com
قمر الليل

النظر على "ڤولوديا" الذي كان جالسا في هدوء. وبعد لحظة التفتت إلى عمها.

ثم استطرد السيد "چيل":

- في هذا الصيف مثل كل صيف كان لي بالغ السرور في الاهتمام بشبابنا. وأن حضور السيد "سيرچين" يجعل هذه اللحظات تذكارية وعن نفسي سوف أحتفظ بها كأحسن تذكار لأني قد عزمت على التقاعد غير أن ابنة أخي "لوريان" هي التي ستتحمل مسئولية إدارة قرية "بريان" الموسيقية.

بهتت الفتاة عند سماع إعلان عمها هذا والآن لقد فهمت لماذا رفض الاستماع إليها عندما عرضت عليه أن تذهب إلى "ڤولوديا" لتطلب منه أن تكون دائما معه.

ثم أضاف:

- ولحسن الحظ لن تكون "لوريان" بمفردها في تحمل هذا العبء الثقيل. واعتبارا من العام القادم ستحمل قريتنا اسم: "قرية بريان - سيرچين" الموسيقية لأن السيد "سيرچين" قد وافق على المشاركة في إدارة هذا المركز الفني مستقبلا.

مرة أخرى دوت عاصفة من التصفيق بينما كانت "لوريان" تنظر إلى عمها وفمها مفتوح من الدهشة. أما "ڤولوديا" وقد فوجئ هو الآخر فكان يبدو كأنه يتأمل الكمان الذي مازال موضوعا على ركبتيه.

وأما "لوريان" فقد اعترتها قشعريرة باردة. إذا كان "ڤولوديا" لم يبد أي رد فعل إزاء هذا الإعلان فهذا كان راجعا إلى أنه فوجئ به بلاشك فاجأته بالغضب لأنها تعلم أن "ڤولوديا" لا يحب المفاجآت. كيف تجرأ عمها على تحريك رجل مثل السيد "ڤولوديا سيرچين"؟ قد لا يوافق على مثل هذا العرض أبدا. وليس فقط أنه سيرفض إنما سوف يشك في أن

"لوريان" خلف هذه اللعبة. والآن لن تستطيع ان تكلمه أو تفاتحه في أمر متابعتها له في تنقلاته.

ولما انتهى السيد "چيل" من حديثه أعطى الجمهور ظهره والتفت إلى العازفين وضرب بالعصا على المنضدة وبدأ "الأوركسترا" العزف. لم يسبق لـ"أوركسترا" القرية العزف بمثل هذه المرونة والدقة. وهذا راجع إلى القيادة السليمة التي اشترك فيها "ڤولوديا" مع السيد "چيل".

انتهت المقطوعة ومن بعدها دوى تصفيق شديد.

ثم أعلن "چيل" أن "ڤولوديا" سيقدم عزفا منفردا على الكمان. ترك الفنان القدير مقعده وتقدم في رشاقة. وقف على حافة المسرح. ولما وضع الكمان تحت ذقنه وأمسك بالقوس ساد الصالة سكون رهيب.

ارتفع صوت الكمان وملأ المسرح بسحره كانت الألحان شجية. كان "ڤولوديا" يعزف للجميع غير أن كل مشاهد كان يشعر أن اللحن يخصه وحده بدءا من "لوريان" التي أحست أنها انتقلت إلى عالم السحر والجمال والشفافية حيث نسيت كل آلامها. كان يبدو لها أن الكمان يكلمها شخصيا وأنه يبعث إليها بالتعازي التي تحتاج إليها. وها هما عيناها قد امتلأتا بالدموع ولما انتهى الفنان المشهور من العزف شعرت الفتاة أن الحياة قد فارقتها. ومن حولها وقفت الجموع وتعالت الصيحات:

- حسنا... حسنا.

تراجع "ڤولوديا" بضع خطوات ثم أشار بيده إلى السيد "چيل" وأعضاء الـ"أوركسترا" الذين نالوا نصيبهم من التحية والتقدير.. وأخيرا هدأت الجموع واستمر الحفل. وفي الاستراحة تناول العازفون كميات كبيرة من عصير البرتقال وهم يتبادلون التعبير عن أحاسيسهم لاسيما فرحتهم بأن "ڤولوديا" سيكون مديرهم من العام القادم.

liilas.com
وم ـــر للبيل

كانت "لوريان" تسمعهم متأثرة. وكانت ترغب في مقابلة "ڤولوديا" غير أن إعلان عمها كان يمنعها من ذلك. عاد الموسيقيون إلى الكواليس والجمهور استجاب إلى رنين الجرس وعاد إلى القاعة.

كان الجزء الثاني من العرض مخصصا لعزف مقطوعة "الربيع لـ"ڤيڤالدي" ثم أعلم السيد "چيل" "ڤولوديا" بهذا وهذا الأخير عاد إلى المسرح ومعه الكمان وأيضا علبة بيضاء في يده ولما اقترب من مكبر الصوت. قال:

- أعتقد أنه وجب علي أن أشرح لكم سبب ابتعادي عن الفن طوال هذه الفترة. اعلموا جيدا أنه ليس لأني قد مللت منكم يا أعزائي أو قد مللت الموسيقى. لنقل: إن "ڤولوديا سيرچين" كان في احتياج إلى التراجع حتى يعرف قلبه وروحه.

وفي أثناء كلامه كان يراقب الصالة وقد أضيئت ثانية. وأخيرا وقع نظره على "لوريان". ثم أكمل:

- وحتى أتمم هذا تقربت من الطبيعة. لم تنجح تجربتي في الزراعة غير أني قد توصلت إلى تنمية شيء نادر الجمال.

ثم رفع العلبة حتى يتمكن كل فرد من مشاهدتها. رفع غطاءها وأخرج منها تفاحة كبيرة حمراء.

قال مبتسما:

- أقدم لكم تفاحة "ڤولوديا سيرچين"

كادت "لوريان" تذوب تحت نظرات الحب التي كان يصوبها نحوها.

ثم استطرد :

- لقد فهمت قريبا أن سلامة هذه التفاحة تساوي كل مباهج الدنيا. وبعيدا عن هذه الثمرة لا أهمية عندي لأي شيء.

ساد السكون المسرح إذ إن الحاضرين لم يفهموا ما المقصود من

كلماته هذه . ظل يثبت النظر على الفتاة ثم قال:

- وبسبب هذه التفاحة لن تكون عودتي إلى المسرح محددة. والآن سيداتي سادتي يسرني أن أعزف من أجلكم.

ثم أعاد وضع الثمرة الثمينة في العلبة وأمسك بالكمان. وعندما أطفئت أنوار الصالة ارتفعت الأنغام السحرية.

حضرت "لوريان" آخر الحفل وكأنها في حلم. وجد "ڤولوديا" صعوبة في الانصراف لأن المشاهدين كانوا يلتفون حوله. ولما اختفى علمت "لوريان" أن الصيف قد انتهى. وكانت الساعات التالية أكثر ازدحاما ولم تجد "لوريان" فرصة للقاء "ڤولوديا" على انفراد. وبعد انتهاء العروض أقيمت حفلة تكريم للطلاب وأولياء الأمور والأساتذة. وكان وداع "چوزيفا" و"چيل" مؤثرا جدا ولما انصرفا التفتت أخيرا "لوريان" نحو "ڤولوديا". قالت له:

- أنا لا أدري كيف سأحتمل غياب هذين الشابين. إني متأكدة أنهما قد اتفقا على اللقاء في القرية في العام القادم.

أجابها:

- المكان يبدو قفرا وموحشا.

قالت:

- أليس كذلك؟ لا يبقى إلا رئيس الخدم الذي سيقوم بترتيب كل شيء. على الرغم من أن هذا يتم كل صيف إلا أني لم أعتده. إنه موقف مؤثر يدفعني في كل مرة إلى البكاء.

قال:

- إني أفهمك. لكني أعتقد أن عندي حلا لهذه المشكلة. لدي شراب توت في المزرعة..

قالت:

liilas.com
قمر الليل

- أعتقد أنه في إمكاني رفضه لكن المزرعة أوافق على الذهاب إليها... عندنا ما نتكلم فيه... لا؟

قال:

- أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نترك "چورچ" يتصرف مع "چيل" في موضوع الإدارة هذا. وهيا بنا ننظم مشاكلنا عندي..

وبينما كانا يقطعان الطريق بالسيارة في صمت نحو المزرعة تعرضت "لوريان" مرة أخرى للحزن: لقد لاحظت أن "ڤولوديا" أصبح مندمجا مع جمهوره. كما أنها أيقنت إلى أي حد أصبح حلمها ببناء حياتهما معا من رابع المستحيلات.

الفصل الثالث عشر

كانت الشمس قد غابت في الأفق وهي تعكس ضياء من نار على أشجار التفاح. ولما توقف "ڤولوديا" أمام مدخل المنزل الكبير الأبيض نزلت "لوريان" من السيارة واشتمت رائحة تخمر التفاح التي تنبعث من البستان.

دخلا إلى الصالون. ألقى "ڤولوديا" بسترته على المقعد ثم أخرج الكمان من غلافه وذهب ليضعه في قاعة الموسيقى ثم عاد ومد يده بالعلبة البيضاء إلى الفتاة. قال:

- الآن نتناول شراب التوت.

ألقت "لوريان" بنفسها على المقعد ورأته وهو يخرج زجاجة وكوبين. سألته:

- ألم تفكر في التخلي عن مشروبك هذا؟

ضحك "ڤولوديا" وقال؟:

liilas.com
قمر الليل

- أقول الحق: لقد ألقيت به في البالوعة.

ثم اقترب منها ومد لها يده بالمشروب:

- اشربي على ضمانتي!

تذوقته... ثم قالت بنبرة مداعبة:

- أعتقد أني سأكتب كلمة شكر وتقدير إلى صانع هذا المشروب.

وبعد ذلك سادت فترة صمت ..... "لوريان" خلالها كانت تتساءل: كيف ستتصرف لكي تصحح العرض الغريب الذي قدمه له عمها؟ وفي آن واحد قالا:

- أتعشم...

قالت:

- هيا تكلم أنت أولا.

قال:

- أتعشم ألا تكوني متحاملة علي لكوني ذهبت لمقابلة "چيل" دون علمك. ولم أخفق. إلا أنه بعد أن حرمتك من نصف ميراثك بدافع عناد مني وبعد الضرر الذي سببته لك أفهم أنك لن تقبليني شريكا لك.

قالت وقد أخذتها الدهشة:

- أتحامل عليك؟ تريد أن تقول: إنها ليست ضربة عمي؟

- لا. إنها ضربتي يا عزيزتي "لوريان"!

- لكني لا أفهم!

- لقد أتتني الفكرة في منتصف الليل لما كان المحصول يعد بالنسبة لي كارثة وأيضا سوء حظ. فكرت أنه لم تعد أمامنا فرصة الحياة معا. وقتئذ شعرت أني ميت لمجرد فكرة أني سأنفصل عنك بقدر التخلي عن الكمان. من أجل ذلك أتتني فكرة تحمل مسؤولية الاشتراك في إدارة القرية الموسيقية. غير أني لم أكن متأكدا من أن "چيل" سيوافق. في

البداية كان متحفظا في مكالمته التليفونية لكنه وافق على الحضور إلى هنا في اليوم التالي. ولما وصل كان يبدو أنه غير رأيه. وكان هو و"چورچ" يشبهان صبيين ممسكين بدمية عندما ناقشا أمر الشركة.

- ربما كان هذا بعد ما رأيت عمي. فعلا لقد شعرت أنه يخفي عني شيئا. لكن هل تعمل حساب أن إدارة القرية سوف تأخذ قسطا كبيرا من وقتك؟

- لا يهمني. لأني اكتشفت في هذا الصيف إلى أي درجة أحببت القيام بتعليم الشبان. أعتقد أني أفهم جيدا وشعرت أني نافع أيضا. إن التعليم لا يبدو لي أقل أهمية من العزف على الكمان.

ثم تناول رشفة من كوبه واستطرد:

- لقد أخطأت عندما أعلنت أن الزواج بيننا أمر مستحيل.

- لن أستمع لك أبدا. لقد تصرفنا مثل اثنين غبيين. وهل تعتقد أن الغبيين في مقدورهما أن يكونا سعيدين معا؟

قال "ڤولوديا" مبتسما:

- إن الأمر مشترك بيننا! بعد رحيلك أحسست أنك أهم شيء عندي في الوجود وكنت لا أحتمل فكرة أني لن أراك!!

قالت:

- أعلم ذلك! إنها فكرة لا تحتمل!

- لكن قولي لي يا "لوريان": هل أنا أستاذ جيد؟

- أنت أستاذ ممتاز يا "ڤولوديا".

قال:

- سأضطر إلى ملازمة قرية "بريان - سيرچين" الموسيقية طوال ثلاثة شهور في السنة على الأقل.

ركزت "لوريان" على الكلام:

liilas.com
ومـــراسيل

- أقول الحق: لقد ألقيت به في البالوعة.

ثم اقترب منها ومد لها يده بالمشروب:

- اشربي على ضمانتي!

تذوقته... ثم قالت بنبرة مداعبة:

- أعتقد أني سأكتب كلمة شكر وتقدير إلى صانع هذا المشروب.

وبعد ذلك سادت فترة صمت ..... "لوريان" خلالها كانت تتساءل: كيف ستتصرف لكي تصحح العرض الغريب الذي قدمه له عمها؟ وفي آن واحد قالا:

- أتعشم...

قالت:

- هيا تكلم أنت أولا.

قال:

- أتعشم ألا تكوني متحاملة علي لكوني ذهبت لمقابلة "چيل" دون علمك. ولم أخفق. إلا أنه بعد أن حرمتك من نصف ميراثك بدافع عناد مني وبعد الضرر الذي سببته لك أفهم أنك لن تقبليني شريكا لك.

قالت وقد أخذتها الدهشة:

- أتحامل عليك؟ تريد أن تقول: إنها ليست ضربة عمي؟

- لا. إنها ضربتي يا عزيزتي "لوريان"!

- لكني لا أفهم!

- لقد أتتني الفكرة في منتصف الليل لما كان المحصول يعد بالنسبة لي كارثة وأيضا سوء حظ. فكرت أنه لم تعد أمامنا فرصة الحياة معا. وقتئذ شعرت أني ميت لمجرد فكرة أني سأنفصل عنك بقدر التخلي عن الكمان. من أجل ذلك أتتني فكرة تحمل مسؤولية الاشتراك في إدارة القرية الموسيقية. غير أني لم أكن متأكدا من أن "چيل" سيوافق. في

البداية كان متحفظا في مكالمته التليفونية لكنه وافق على الحضور إلى هنا في اليوم التالي. ولما وصل كان يبدو أنه غير رأيه. وكان هو و"چورچ" يشبهان صبيين ممسكين بدمية عندما ناقشا أمر الشركة.

- ربما كان هذا بعد ما رأيت عمي. فعلا لقد شعرت أنه يخفي عني شيئا. لكن هل تعمل حساب أن إدارة القرية سوف تأخذ قسطا كبيرا من وقتك؟

- لا يهمني. لأني اكتشفت في هذا الصيف إلى أي درجة أحببت القيام بتعليم الشبان. أعتقد أني أفهم جيدا وشعرت أني نافع أيضا. إن التعليم لا يبدو لي أقل أهمية من العزف على الكمان.

ثم تناول رشفة من كوبه واستطرد:

- لقد أخطأت عندما أعلنت أن الزواج بيننا أمر مستحيل.

- لن أستمع لك أبدا. لقد تصرفنا مثل اثنين غبيين. وهل تعتقد أن الغبيين في مقدورهما أن يكونا سعيدين معا؟

قال "ڤولوديا" مبتسما:

- إن الأمر مشترك بيننا! بعد رحيلك أحسست أنك أهم شيء عندي في الوجود وكنت لا أحتمل فكرة أني لن أراك!!

قالت:

- أعلم ذلك! إنها فكرة لا تحتمل!

- لكن قولي لي يا "لوريان": هل أنا أستاذ جيد؟

- أنت أستاذ ممتاز يا "ڤولوديا".

قال:

- سأضطر إلى ملازمة قرية "بريان - سيرچين" الموسيقية طوال ثلاثة شهور في السنة على الأقل.

ركزت "لوريان" على الكلام:

liilas.com
ومـــراسيل

- قرية "بريان - سيرجين" الموسيقية!

- آه ! أشعر أن الأمور لن تمر كلها بسهولة. على أي حال سيجمعنا الصيف دائما. إني أتساءل: لماذا لم أفكر في هذا الأمر قبل الآن؟

قالت "لوريان":

- نظارة الحب عمياء. أنا أيضا كنت محتاجة إلى وقت لكي أرتب فيه أفكاري.

نظرت الفتاة إلى كوب العصير.. ولم تكمله ثم وضعته على المنضدة. قالت:

- حسنا أن أفكر في أني سألتقي بك كل صيف.

وضع يده على كتفها ثم قال:

- وسأكون كلي لك يا حبي لكن أتعتقدين أن شهور الصيف كافية لنجاح زواجنا؟

تنهدت قبل أن تعلق:

- إني متأكدة من ذلك. ومن ناحيتي هأنا قد أخذت بعض القرارات.

تمتم:

- بعض القرارات؟

- نعم قررت أنك محتاج إلى من يعتني بك يا "ڤولوديا". سأطوف معك وأذلل لك كل الصعاب. سأنظم لك تنقلاتك وسأسهر على ألا تقبل عروضا أكثر من تلك التي تشرفك.

نظر إليها "ڤولوديا" وهو يفكر . ثم قال:

- ألست محتاجة إلى منزل زوجية؟ وربما أيضا إلى أطفال؟ ومهنتك الأصلية! كلها أمور مهمة كيف يمكنك الحصول عليها وأنت تحبين حياة التجول؟

قالت:

- قبل كل شيء أريد أن أكون بالقرب منك أما الباقي فسيدبر نفسه.

قال مركزا:

- لكن حياتك يا "لوريان"! كيف ستتصرفين مع الـ"أوركسترا" مع الموسيقى الخاصة بك؟ وكيف ستسعدين عندما تتخلين عن كل ذلك؟

- في إمكاني اصطحاب آلتي معي والعزف عليها أينما ذهبت. إنك علمتني الثقة بالنفس وأستطيع أن أكون سعيدة.

تردد "ڤولوديا" ثم أمسك بيدها قائلا:

- لقد شاهدتني وأنا أعزف أمام الجمهور يا "لوريان". هل تعتقدين حقا أنك تستطيعين الحياة في ظل شخص آخر؟

- إن الموسيقى هي حياتي يا "ڤولوديا". لكن هذا لا يعني أني مجبرة على العزف ولن يكون لدي الإحساس بالحياة إلا في ظلك وأنا أنظم لك عملك. سنكون شريكين. نحمل نفس الاسم في القرية الموسيقية. لقد أخذت قراري.

قال "ڤولوديا" وهو ينهض:

- في هذه الحالة سأريك شيئا.

عاد ومعه ملفات.

- ها هي العقود التي قدمت لي. وعليك الآن أخذ القرارات. في إمكانك الاختيار حسب رغبتك. أي ركن في العالم تريدين الحياة فيه. ووجب أن أعلنك أني قد نظمت رحلتنا الأولى إلى "ڤيينا".

ثم مد يده لها بتذكرتي طائرة!

قالت "لوريان" وهي تفتح عينيها الواسعتين :

- تركتني يا "ڤولوديا" أتكلم طوال هذه الفترة بينما كنت قد انتهيت من تدبير أمر اصطحابي معك؟!

- أتتني الفكرة. لكن لم تكن لي نية أن أجعلك تعملين. لأن هذا الأمر

liilas.com
وقمر الليل

يخص عبقريتك!

- "ڤولوديا"!

- وبعد "ڤينيا" سنتوجه إلى "هلسنكي" لكي تقابلي أهلي. ترى هل في إمكاننا أن نسميهما رحلتي عرس؟

أخذت "لوريان" تقلب التذاكر في يدها . ثم قالت:

- أشعر أنك لم تكن بلا عمل بالأمس. لماذا لم تكلمني في الحال؟

- كنت أخشى ألا توافقيني. ببساطة أخذت التذاكر متمنيا أن تأخذ الأمور مجراها الطبيعي.

قالت:

- وأنا كنت أخشى وأرتعب ألا تقبل اصطحابي معك. أشعر الآن أني أعيش في الخيال. في قفص الجنيات.

- إنه سحر تفاحتنا يا حبي.

أخذت "لوريان" العلبة ثم صاحت:

- تفاحتنا! كنت قد نسيتها!!

فتحت الفتاة العلبة وأخرجت ثمرة الفاكهة ثم قالت:

- إنها هي! لا شك في ذلك.

- التفاحة الرائعة. تفاحة حبنا سليمة تماما ليس بداخلها أقل دودة.

سألته وهي تقلب الثمرة بين أصابعها:

- وكيف تأكدت من ذلك؟

- لا تجرؤ دودة أن تتعرض لتفاحتنا. هيا يا "لوريان" اقضميها وهكذا ستكونين دائما تحت تأثير سحري.

ابتسمت "لوريان" ثم قالت:

- تحت تأثير سحرك؟ ولماذا لا تقضمها أنت أولا وتكون تحت تأثير سحري؟

- لأني تحته بالفعل! لكن لا يهم. إني واثق بحبنا.

وقضم "ڤولوديا" الفاكهة بأسنانه البيضاء تحت نظرات الفتاة وكانت ترتعب لفكرة وجود دودة بها. ولما مد يده لها بالتفاحة فحصتها فوجدتها سليمة.

سألته:

- كيف علمت يا "ڤولوديا" أنها سليمة؟

أجابها بجدية:

- وضعتها تحت أشعة إكس في مستشفى "سانتاروزا".

- أنا لا أصدقك!

- مع أنها الحقيقة. لأني لم أقدر على احتمال فكرة أن رمز حبنا يتلف. وكان ينبغي علي أن أتأكد! في المستشفى اعتبروني مجنونا لكنهم خضعوا أمام إلحاحي.. أحبك من كل روحي يا "لوريان". وكان من الضروري أن أتأكد من سلامة هذه الثمرة لكي نتقاسمها.

تناولت الفتاة التفاحة وقبل أن تقضمها تمتمت:

- أحبك يا حبي! إنك لي.

وتقابلت شفاهما وأكلاها معا. ولما انتهت التفاحة، قام "ڤولوديا" برفع المشابك التي تضم شعر "لوريان" واحدا بعد الآخر ليترك شعرها ينساب بتموجاته الجميلة على كتفيها. ثم وضع يده فيه وعمق النظر في عينيها.

ضمها بين ذراعيه قائلا:

- أتعرفين يا جميلتي "لوريان" ما الذي عملته أمنا حواء بعد أن أكلت من التفاحة ؟

اقتربت الفتاة منه ثم قالت:

- لا أعرف! هل تنوي سرد قصة جديدة عن الحشرات؟

liilas.com
قمر الليل

- إني جاد يا "لوريان". ماذا عملت حواء؟ وماذا تعلمت حواء؟

سألته:

- ماذا تعلمت؟

- تعلمت أن تعزف على الكمنجة الكبيرة!

ضحكت مرددة:

- على الكمنجة الكبيرة!؟

أكد "ڤولوديا":

- حتما! كما أن كمان "آدم" كان يردد أنغام الحب ذات ليلة مثل هذه الليلة فكانت هي تجيبه بصوت آلتها المنخفض الشاعري.

قالت "لوريان":

- أحبك يا "ڤولوديا". وسأحبك دوما.

- دوما يا جميلتي، يا وديعتي، يا لطيفتي، يا مزعجتي، يا "لوريان".

تمت

قمر الليل
liilas.com